رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير
فخري كريم

العدد (2501) السنة التاسعة
الاحد (3) حزيران 2012

أوراق

ملحق يعني بآخر الاصدارات الحديثة في العالم يصدر عن مؤسسة

سكورسيزي يتحدث عن نفسه

تاريخ مكتب التحقيقات الفيدرالي

حياة أنجلينا جولي في كتاب كوميكس

نيلسون مانديلا..
مسيرة طويلة نحو الحرية

الأعداء: تاريخ مكتب التحقيقات الفيدرالي

تأليف: تيم وينر

ترجمة: هنادي نجم

يوجّه تيم وينر، صاحب كتاب (إرثٌ من رماد)، في كتابه (الأعداء: تاريخ مكتب التحقيقات الفيدرالي) اتهاماً لاذعاً لمكتب التحقيقات الفيدرالي، قبل الرئيس الأسبق للمكتب ج. إيدغار هوفر وبعده.

يرسل مكتب التحقيقات الفيدرالي لمراسليه إيميلات تحتوي على أبرز عشر قصص كل أسبوع على أمل أن تتصدّر العناوين الرئيسية. وتقوم الوسائل الصحفية بتسليط الضوء على قصص يتم القضاء فيها على (المحتالين)، أو تتضمّن فشلاً لمخططات إرهابية، أو تحتوي على قصص لعملاء فيدراليين من أشهر وكالات تطبيق القانون في العالم، ويدينون فيها المجرمين بإطلاق الرصاص وإلقاء القبض على العصابات.

إنه لمن المستبعد أن يكون كتاب (الأعداء: تاريخ مكتب التحقيقات الفيدرالي) قد تضمّن أياً من القضايا من النوع الذي يحب أن يروّج له مكتب التحقيق الفيدرالي. فيوجه الكاتب اتهاماً لاذعاً لمكتب التحقيق الفيدرالي لكونه دائرة استخباراتية سرية خالفت وخرجت عن القانون لعقود مضت من أجل ملاحقة الشيوعيين والارهابيين والجواسيس. والأسوأ من هذا كله، برأي الكاتب، أن المكتب غير كفء على نحو فادح. وكما صرّح توماس كين، رئيس لجنة التاسع من أيلول، وهو من الحزب الجمهوري، عام ٢٠٠٤: "لقد حققتكم رقماً قياسياً كوكالة فشلت وتكرّر فشلها مرات ومرات."

يستخرج وينر كل ما لدى مكتب التحقيقات الفيدرالي ليسرده في سرد جارف وممتع أيضاً لأنه يعجّ بأخطائه وفضائحه. وكما في كتابه السابق والحائز على أكبر نسبة مبيعات (إرثٌ من رماد: تاريخ وكالة المخابرات المركزية) والذي يوثق أخطاء المخابرات المركزية، يشكّل هذا الكتاب أيضاً نقداً تأريخياً لاذعاً. فهو يشكّل ملخّصاً لاعتقالات واحتجازات غير قانونية واقتحامات وعمليات سطو وعمليات تنصّت ومراقبة. ويعتبر وينر نفسه كتابه هذا تسجيلاً تاريخياً "للصراعات بين الأمن القومي والحريات المدنية". ولكن الفائز في هذا الصراع يبدو له واضحاً. وقد استنكرت وكالة المخابرات المركزية كتابه الأخير هذا، كما أن من المؤكد أن مكتب التحقيقات الفيدرالي لن يمنحه عليه أي ميداليات.

وتكمن عبقرية وينر، في كتابه، في إيجاده لحبكات متكررة حيكت خلال عقود عدة. فهو يرى هنا أن مكتب التحقيقات الفيدرالي يوظّف نفس التكتيكات غير القانونية ونفس البيانات الهستيرية ضد الجميع بدءاً من أعمال الشغب في العشرينيات من القرن العشرين وانتهاءً بالقاعدة. بالرغم من أن معظم الحكاية معروفة، فإن وينر قد نقّب عن قصص تأريخية شفهية وكشف عن وثائق سرية واكتشف شذرات مرصّعة بالسخام بين كومة من الركام. ومع افتراض أن مكتب التحقيقات الفيدرالي قد أنجز أفعالاً صالحةً خلال السنوات المنصرمة، ولكن رجالاته لم ينالوا أي اعتبار يُذكر على هذا هنا، حيث احتلت سلسلة القضاء على محبوبي هوليوود المجرمين جون ديلينجر وبريتي بوي فلويد وبيبي فيس نيلسن وبوني وكلايد، على سبيل المثال، جملة واحدة فقط في مجلد يحتوي على أكثر من خمسمئة كلمة.. جملة واحدة احتوت كل تلك الأسماء بدلاً من جملة واحدة لكل اسم.

تبدأ هذه القصة القذرة عام ١٩٠٨ عندما أطلقت دائرة العدالة وحدة استجواب لتعقّب مشرفين مشكوك بأمرهم. واستُحدثت قوانين جديدة منعت الغوغاء من السكن في الولايات المتحدة. وفي عام ١٩١٧ عندما حذر الرئيس وودرو ويلسن من الغوغاء والارهابيين لأنهم يمثلون "التهديد الأخطر للسلام والأمن القومي،" بدأ المكتب بتطويق الليبراليين والتصنت على المحادثات وفتح الرسائل البريدية.

وهنا يأتي دور ج. إيدغار هوفر، الذي خدم كمدير متعجرف في مكتب التحقيقات الفيدرالي لما يقارب الخمسة عقود. وكان يتحتّم على وينر أن يحبك قصة هوس هوفر وكراهيته وازدرائه لمشروع قانون الحقوق. وفي وقت مبكر في حياته في عام ١٩٢٠، كان هوفر عاقداً عزمه على سحق مؤامرة شيوعية فترأس ما يسمّى بغارات بالمر والتي ألقي القبض فيها على ما يقارب العشرة آلاف شخص بدون مذكرات أو إجراءات قانونية. لكن هذا الأسلوب قد تأسس على أية حال. فبدأ المكتب بالتجسس على الآلاف من الليبراليين المشتبه بأمرهم وتم السطو على مكاتبهم ومنازلهم واعتراض بريدهم والتنصت على مكالماتهم الهاتفية، وكل هذا بسبب نزوة هوفر. ولم يكن من أحد محصناً من كل هذا، وحتى بعض من أعضاء الكونغرس. وبحلول عام ١٩٣٠، كان التنصت والابتزاز والاقتحامات الدعائم الأساسية لعمليات استجواب مكتب التحقيقات الفيدرالي. وتضاعف المكتب بحجمه ثلاث مرات خلال الحرب العالمية الثانية، وتحديداً عندما بدأ بالعمل في الخارج لأول مرة من أجل الحصول على المعلومات.

كان هوفر مصمّماً على تحويل مكتب التحقيقات الفيدرالي إلى منظمة جاسوسية عالمية بعد الحرب. ولكن الرئيس هاري ترومان حذّر مساعديه بأن هوفر كان "ينشئ منظمةً كال(غيستابو) [النازي]". وثار هوفر غاضباً بعد تصريح ترومان لإنشاء دائرة المخابرات المركزية عام ١٩٤٧- وشكّل هذا واحدة من المرات القليلة التي خسر فيها هوفر معركة خطيرة كهذه- فمنع هوفر أي شخص كان قد عمل لدى مكتب التحقيقات الفيدرالي من الالتحاق بالدائرة الجاسوسية الجديدة. وقد نشر إشاعات حول منافسه المهم، ويليام ج. دونوفان، بأنه كان متعاطفاً مع الشيوعية، بينما نشر دونوفان بسرية- وكان قد قاد حملة خبيثة لفصل الشاذين من الحكومة- بأن هوفر كان شاذاً بشكل سري. ولا يصدّق وينر هذه الاشاعات المتعلقة بهوفر، حيث يقول، في الكتاب، بأن الأمريكان يعرفون هوفر فقط "في الكاريكاتيرات التي تصوّره كطاغية في وشم ما أو كشخص دنئ يرتدي زي امرأة، ولا شئ من هذا صحيح." ويجادل وينر بأن هوفر إنما يخوض في علاقة غير عاطفية مع رفيقه الدائم، كلايد تولسون، فقط بسبب أنه لم يستطع أحد إثبات العكس. وبشكل عام، فإنه يقدّم احترامه على مضض لدهائه ومكره ولقبضته الحديدية، كما ويصفه بأنه "نسخةٌ أمريكيةٌ من ميكافيلي."

أصبح هوفر، بالنسبة لوينر، الرجل الأكثر تشكيكا والأكثر خطورةً في بدايات الحرب الباردة. إن حلقات التجسس السوفيتية كانت حقيقية، ولكن هوفر أشعل حنق الأمة ضد الشيوعيين وحذّر من أن الملايين من الأطفال الروس كانوا يتدربون ليصبحوا "مظليين انتحاريين،" كما حذّر من وجود جيش شيوعي يتواجد داخل البيوت كان يخطط بسرية لاستعمال "أسلحة الدمار الشامل،" كما يخطط لاستعمال مفاهيم جديدة للقضاء على أمريكا. وماذا كان حله إزاء هذا كله؟ اقترح هوفر سجن خمسة وعشرين ألف شخص سياسي مشتبه بأمره في أماكن عسكرية مطوّقة، واقترح أيضاً إقامة سجون سرّية لمواطنين أمريكيين وتعطيل قانون يتيح للسجناء أن يُعفوا من الحجز إذا ما توافرت الأدلة الكافية لإدانتهم.

وينقل وينر أنّ مكتب التحقيق الفيدرالي قد قام خلال الستينيات، وبصورة غير قانونية، بالتنصت والتجسس بشكل مستمر على القس مارتن لوثر كنج جونيور بالإضافة إلى قادة آخرين في مجال الحقوق المدنية، وكان المكتب تحت الاعتقاد بأن هؤلاء القادة يتبعون موسكو. أما بالنسبة للكوكلوكس كلان، وهي المجموعة الارهابية الضارية الأكثر عنفاً في القرن، فقد تجاهل المكتب أمرها. وقد أحجم هوفر عن استجواب المافيا ولكنه، وبكل حماس، أسس فايلات ضخمة عن حياة جون أف كنيدي العاطفية وغيره العديدين.

توفي هوفر في سريره عام ١٩٧٢، وقام الكونغرس وبشكل متأخر جداً بالإشراف على مكتب التحقيقات الفيدرالي، وأسس حركات إصلاحية بشأنه. ومع هذا، فإن المكتب تغير تغيراً طفيفاً جداً، حيث تم الكشف عن عدد من الجواسيس السوفيت في منتصف الثمانينيات، ومنهم، روبرت هانسن، وهو عميل فيدرالي عالي الشأن، وألدريتش أيمس، وهو ضابط كبير في دائرة الاستخبارات المركزية، وقد باعوا كماً هائلاً من أسرار الأمن القومي إلى موسكو. كان حكم وينر على هذه الثغرة الكبيرة هو الأكثر قسوة. لقد عاش هؤلاء الخونة في نعيم لمدة طويلة، لأن وحدة مكافحة التجسس الأمريكية "كانت في فوضى"، كما يقول وينر، ويضيف: "لم يكن مكتب التحقيقات الفيدرالي ودائرة المخابرات الأمريكية على وفاق لما يقارب الأربعين سنة الماضية. فسبب الانتقاد والتهميش وقنص الواحدة منهما للأخرى ضرراً أكبر على الأمن القومي مما سببه السوفيت."

أما في العقود الأخيرة، فإن العناوين الرئيسة في الوسائل الإعلامية تعطينا فكرة عما يجري من أخطاء ارتكبها مكتب التحقيقات الفيدرالي قبيل الهجوم على برج التجارة العالمي عام ١٩٩٣ والتفجيرات التي استهدفت مدينة أوكلاهوما بالإضافة إلى إخفاقات أخرى. وبظهور القاعدة بقوة، يجد وينر المختصين في مكافحة الإرهاب من مكتب التحقيقات الفيدرالي ودائرة المخابرات المركزية "مشغولين بشن الحروب على بعضهم البعض"، ولهذا فقدوا التركيز على أسامة بن لادن حتى كان الوقت متأخراً جداً. وللأسف، فإنه لا توجد أسباب كافية تجلعنا نعتقد أن مكتب التحقيقات الفيدرالي سيتحسّن في المستقبل.

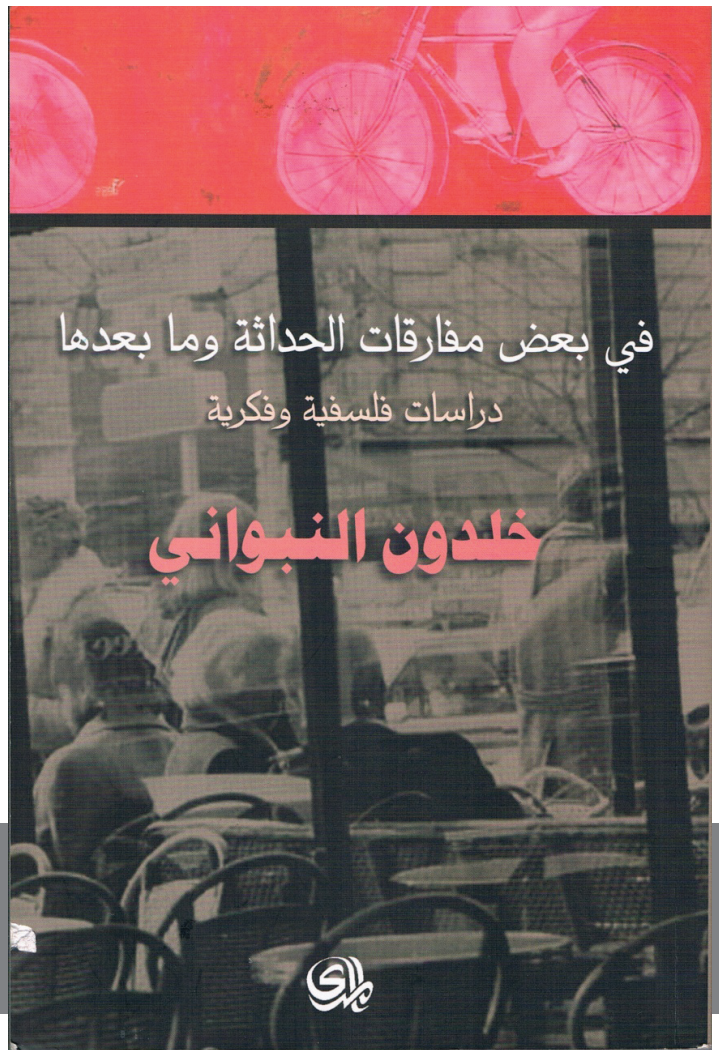

يتضمن الكتاب الذي بين يدينا مجموعة مقالات وابحاث للباحث خلدون النبواني يناقش فيها عدة مواضيع تتعلق ببعض القضايا الفلسفية ومسالة الحداثة وعلاقة المسلمين بالحداثة.

تأليف: خلدون النبواني

الناشر: دار المدى - الطبعة الأولى -٢٠١١

مراجعة: فريدة الأنصاري

في بعض مفارقات الحداثة وما بعدها

دراسات فلسفية وفكرية

المحور الأول جاء بعنوان (كتابات فلسفية) ناقش فيه: "في مفارقات الحداثة وما بعدها" و "حول ثورية الفلسفة الفرنسية المعاصرة" حاول المؤلف من خلالها الدخول الى فكر الفيلسوف الفرنسي الجزائري الاصل جاك دريدا وبحث مسألتي الكتابة والهوية عند دريدا من خلال تقصي الأثر النفسي اللاواعي، ونبش النصوص المنقوشة في اللاوعي، واستسقاء الأصول اللاواقعية والمجهولة لفيلسوف وجد في نظرية فرويد معينا لا ينفذ، ومرجعا لا يمكن بدونه فهم التفكيك الفرويدي.ويمضي الباحث في ذلك مثيراً عدة مسائل حول دريدا مثل صلته بما بعد الحداثة وعلاقته برماس واسئلة اخرى عن الحداثة.

لو انتقلنا الى المحور الثاني والذي جاء بعنوان((إشكاليات فلسفية)) وأول ما يناقش فيه "الفلسفة ولغة الشعر" من خلال الخطاب الفلسفي ومحاولات الخطاب الشعري البلاغي اقتحام اسوار الفلسفة من بوابة العقل حيث بشر كل من شيلر وشيلنغ وشليغل بميثولوجيه شعرية قادمة،يكون فيها الشعر والفن هما الهدف الاسمى للفلسفة فصارا يمثلان نهايتها ومستقبلها في وقت واحد. وفي موضوع آخر وضمن هذا المحور يدرس النبواني ويحلل ظاهرة الإلحاد ونزعة الخلاص عند بعض الفلاسفة مثل نيتشة وهيدغر ودريدا يحاول فيه كشف اللثام عن هذا اللاهوت الملحد،ويمضي النبواني بعد ذلك في مناقشة "البيوطيقا أو معضلة الحكم الأخلاقي" ويبتدأ المناقشة بتساؤله عن "هل فعلاً خلق الإنسان في احسن تقويم؟ "وهل يعتبر الجسد عطية إلهية أو وديعة مقدسة أو أمانة ربانية لا يجوز لحاملها التلاعب بها؟ "ويمضي الباحث في تحليل هذه الخصوصية فيشير كيف أن الإنسان أستمد من منظومتي الدين والعلم لينُصب نفسه سيداً على الطبيعة و الأشياء والمخلوقات،فأباح لنفسه حق التصرف في جينات النباتات والحيوانات،فغير في الكثير من جيناتها من دون مراعاة المسائل الأخلاقية، فقضايا انحراف العلم عن الأخلاق كثيرة كما يؤكد الباحث وابسط مثال على ذلك القنبلة النووية وصناعة الأسلحة غيرها من الصناعات والاختراعات المدمرة.ولو انتقلنا الى الموضوع التالي "لا يمكن للحُب أن يكون إلا انفصالاً: قراءة في فلسفة الحب "وفيه يشير الى فلسفة افلاطون في الحب على لسان أرسطوفان،والتي تتحدث عن أصل الحب الذي ولد وامتلك وعياً بوجوده في لحظة الفصل. وبعد ان يفصل الباحث هذا المفهوم الفلسفي الأفلاطوني للحب يؤكد ان هذه الظاهرة لم تكن موجودة فقط في الثقافة اليونانية،فتراثنا العربي وثقافتنا العربية تؤكد على الحب بوصفه انفصالاً، فالعشاق العذريون حريصين على إبقاء شعلة الحب متقدة،من خلال حفاظهم على مسافة تفصل بين الأثنين، وتحول دون امتلاك احدهما للآخر،ويدلل على ذلك بقول جميل بثينه:

يموت الهوى مني إذا ما لقيتُها

ويحيا الهوى إذا فارقتها فيعودُ

ويمضي الباحثلتاكيد نظرية افلاطون ونظريته في سوق العديد من الأدلة المستقاة من تراثنا العربي، مثل آراء ابن قيم الجوزية في كتابه روضة المحبين ونزهة المشتاقين،ويختتم مقالته هذه في شرح حالات الحب العادية التي يلتقي فيها كل نصف بما يظن نصفه الآخر، وبعد ذلك ينسحب الحب مُخليا المكان لحالة وجدانية نبيلة،لا يكون فيها الحب إلا كذكرى آفلة. وبعد هذه النظرة الفلسفية الأفلاطونيه عن الحب اترك القارئ ليقيمها وفق نظرته الى محبوبه انتقل بعد ذلك الى المحور الثالث.

جاء المحور الثالث بعنوان ((كتابات فكرية)) ويتحدث فيها المؤلف عن الإسلام والفلسفة والتطرف الديني ولعل ابرز المقالات مقالة "هناك شبح يجول في العالم الإسلامي، هو شبح السلفية "فيذكر باننا بعد ثمانية قرون من سقوط فلسفة ابن رشد امام التيار السلفي الغزالي يعود هذا التيار ليقضي على كل مظاهر الحداثة العربية وهنا يتسائل المؤلف هل هي لعنة تلاحق نهضتنا الموءودة أم أن ماضينا قد ابتلع حاضرنا ومستقبلنا نهائيا؟يعزو المؤلف ذلك الى حالة الياس والإحباط من البدائل الوطنية الداخلية التي افتضح تواطؤها مع الغرب ونتيجة استبداد الحكام فوجدت الشعوب العربية في الدين الملجأ الوحيد بعد فشل جميع خياراتها،وساعدها على ذلك الحكومات العربية التي مع احساسها بانكشاف امرها وفقدانها المصداقية أمام شعوبها،وللحفاظ على كراسيها، وجدت من مصلحتها فتح ابواب التدين على مصراعيه،وفتحت الكثير من القنوات الفضائية يحتلها الكثير من خفافيش الظلام، وأصبحت الأمور تسير بشكل خفي نحو تأويلات متطرفة قد تصبح مثل تأويلات طالبان. وهذا ما يحاول النبواني تحذير القارئ العربي من الوقوع في هذا الفخ في المقالات التالية داعيا الى "تفكيك ميتافيزيقا الواحد:لا يمكن أن نحيا إلا معاً، لا يمكن أن نحيا إلا مختلفين "وبعد أن يشرح نظرية ميتافيزيقا الواحد يذكر كيف عمل هذا النموذج في تكريس حالة التجزئة، فخلق انتماءات لا تعترف إلا بجذرها الديني أو الاثني أو العرقي أو الطائفي أو الجهوي أو القبلي فصار هناك دوائر مغلقة ومنكفئة على ذاتها لا تعترف بالآخر إلا تحت إكراه السلطة العليا. ويمضي الباحث في بيان مخاطر سياسة الواحد داعياً الى التعددية والاعتراف بالآخر لأنه الطريق الوحيد الذي يحقق التواصل بين المجتمع والأحزاب والسياسات والأديان وبين السلطة والمعارضة.كما يذكر بأن المعارضة التي تنفي شرعية السلطة بالمطلق،لا تقل استبداداً عن تللك السلطة لو استلمت الحكم.في ختام هذه المقالة التي تجسد واقعنا العراقي خاصة والعربي عامة يحذر المؤلف من المد السلفي،ويدعو الى الاعتراف بالآخر و الاقتراب منه.

يختتم المؤلف الكتاب بالمحور الرابع (حوارات) وفيه يسجل حواراً مع الفيلسوف الفرنسي جان فرانسوا كيرفيان، وحواراً آخراً مع الفيلسوف العربي السوري صادق جلال العظم وفيهما يسجل المؤلف طروحاتهما الفلسفية حول القانون الفلسفي والعولمة والتطرف الديني...الخ.واعتقد بانها حوارات تماثل ما نشاهده على القنوات الفضائية او على صفحات الجرائد،ولم تأت بشيء جديد وعلى عكس المحاور الثلاثة السابقة.

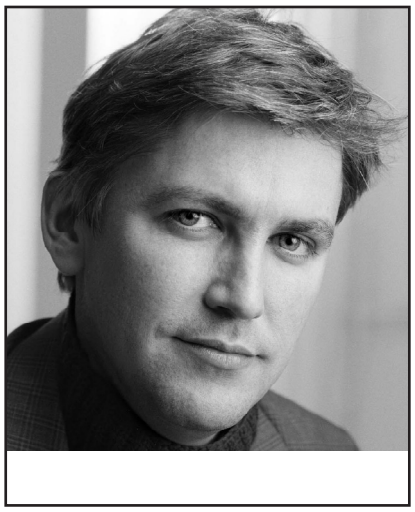

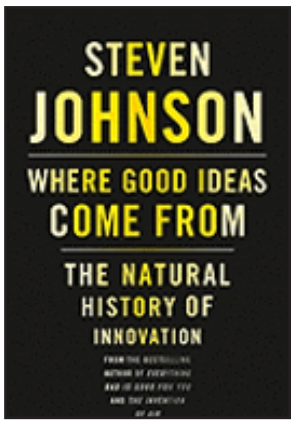

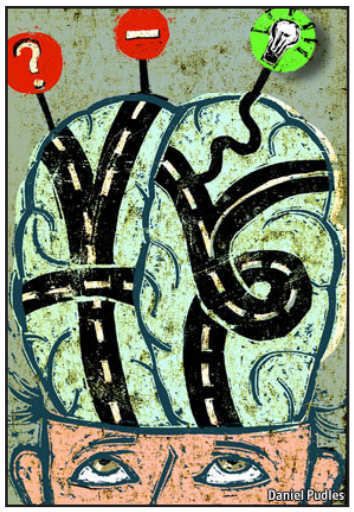

الابتكار في التكنولوجيا و العالم الطبيعي و الثقافة

ترجمة/ عادل العامل

من أين تأتي الفِكَر الجيدة يا تُرى؟ ذلك هو السؤال الذي يَطرحه ستيفن جونسون، و هو كاتب معروف بسرعة البديهة التي يكوّن بها التناظرات analogies المتعلقة بمجالات مختلفة، في كتابه الأخير. و يقدم كتابه هذا، (من أين تأتي الفِكَر الجيدة: التاريخ الطبيعي للإبتكار)، سبع طرق تستطيع بها فِكَر جديدة أن تنبع من أخرى قديمة. و لكلّ واحد من نماذجه السبعة، يقدم السيد جونسون أمثلة متّسعة المدى من التكنولوجيا، و العالم الطبيعي، و الثقافة.

و أول النماذج هو " الممكن المجاور the adjacent possible ": الابتكارات التي تبنى منطقياً على تطورات هامة سابقة. فهو، في التكنولوجيا، يولّد الظاهرة الشائعة لعدة أشخاص يخترعون الشيء نفسه في الوقت نفسه، لأنه كما يبدو الخطوة التالية الواضحة. و بالمثل، فإن الحياة نفسها برزت كشلال من التعقيد المتزايد، و مسارات النشوء المتشعبة تجعل الابتكار الواحد يؤدي إلى آخر مثلما هي الحال مع عظم سمك الشبوط شبه الهلالي الذي جعل الفيلاسيرابتورات velociraptors ضواري أكثر براعة، لكنه لاحقاً أدى إلى نشوء الطيور الطائرة المجنّحة. و الحياة الثقافية و الاجتماعية هي أيضاً استكشاف أو تمهيد للمكن المجاور، مثلما ينفتح باب غير متوقع فيؤدي عندئذ إلى أبواب أخرى.

و بنزعة مماثلة يستكشف السيد جونسون " شبكة سوائل " ترضع الابتكار، سواء على الإنترنيت، أو في المقاهي، أو في الأنظمة البيئية، و بذلك تتطور فكرة على نحو بطيء و غالباً على نحو خاطيء، قبل أن تُصبّح فجأة الجواب الصحيح لشيء ما. كما أنه يختبر فوائد موهبة الإكتشاف بالمصادفة و الخطأ، اللذين يؤدي كل منهما إلى تبصّرات نافعة؛ و فكرة " الميل أو التلاؤم exaptation "، حيث يمكن لابتكار في مجال أن يؤسس لآخر (فقد جمعت مطبعة غوتنبيرغ الحبر، و الورق، و الطبع المتحرك و بشكل حاسم آلية معصرة النبيذ)؛ و " الخطط أو البرامج platforms "، من أنظمة عاملة إلى سلاسل الشعب المرجانية، التي توفر بيئات خصبة لتطورات جديدة.

إن قراء كتب السيد جونسون السابقة سيلاحظون ارتدادية العديد من موضوعاته، كالتماثل بين بنية مدينة و بنية الدماغ. و هذا الكتاب في الكثير من النواحي هو تركيبة من أعماله السابقة. و كما يشير السيد جونسون، فإن نماذج الابتكار تعود للظهور في شكل قابل للتمييز حين تكبّره و تصغّره، من الجزيء إلى النيورون إلى النقطة إلى رصيف المشاة sidewalk. و هو في الفقرة النهائية فقط يوفر بعض الاقتراحات بشأن الكيفية التي تُستخدَم بها هذه الفِكَر في حياة المرء.

أما كتاب كيفن كيلي فهو أكثر طموحاً حتى. و إنها لنظرية تكنولوجيا كاسحة تلك التي تقدمها لا كسلسلة من الاختراعات يقوم بها البشر، بل كقوة حية بمتطلباتها و نزعاتها الخاصة. و قد يبدو من الهيّن أن يسأل الواحد عما " تريده " التكنولوجيا، لكن السيد كيلي، الذي كان محرراً مؤسساً لمجلة Wired، يصنع واقعاً وفقاً لرغبة الـ " technium "، حين يكبّر الأنظمة البيئية للتكنولوجيات، لتتسع بشكلٍ معقد و تستعمر مناطق جديدة، تماماً مثل الحياة نفسها. و هو يؤكد أنه كما " يريد " الماء أن يجري إلى أسفل و الحياة تميل لأن تملأ المحاريب البيئوية الموجودة، فإن التكنولوجيا بالمثل " تريد " أن تتوسع و تتطور. و لا خيار لنا إلا تقبّلها، كما يقول، لأننا الآن تكافليون symbiotic معها؛ و التكنولوجيا تعزز الحضارة.

و السيد جونسون ليس وحده في اعتقاده بأن التكنولوجيا قوة من قوى الطبيعة لا يمكن وقفها. فقد اتخذ مثل هذا الموقف تيد كاكزينسكي، المعروف بالـ " Unabomber ". و في فصل عنوانه " الـ Unabomber على صواب "، يفحص السيد كيلي بالتفصيل كتابات السيد كاكزينسكي ليشرح كيف أنها تبدأ من وجهات نظر متماثلة جداً بشأن طبيعة التكنولوجيا، لكنها تصل إلى استنتاجات مختلفة جداً، و تتّسم بالتشاؤم. أما السيد كيلي، فهو متفائل بأن الجنس البشري، عن طريق فهم طبيعة التكنولوجيا، في وضع أفضل للانتفاع من تطورها و إيجاد خيارات مجسوسة بشأن أية تكنولوجيات يمكن تبنّيها.

و أنها لجرأة من السيد كيلي أن يمضي بالمقارنة المباشرة لنظرياته بتجوالات واحد مجنون. و مع أن بعض أجزاء مناقشته أكثر إقناعاً من غيره، و ينحرف نحو " حديث العصر الجديد " أحياناً، فإن كتابه مثير للاهتمام. و لديه بالرغم من تفاؤله رؤية واعية لعوائق التكنولوجيا و صعوبة إصابة التوازن الصحيح في تبنّيها، على المستوى الشخصي و المجتمعي معاً.

عن/ THE ECONOMIST

ثلاثة وعشرون شيئا لم يخبروك بها عن الرأسمالية

المؤلف: ها- جوون تشانغ

دار: بنغوين

هذا الكتاب هو ليس بيانا معاديا للرأسمالية. يعتقد تشانغ أن ((الرأسمالية لا زالت أفضل نظام إقتصادي إخترعته البشرية.)) لكن نقده للسوق الحرّة الرأسمالية مدمّر. في ٢٣ مقالة بارعة الإيجاز - ومعنونة على نحو مزعج، " شيء رقم ١ "، " شيء رقم ٢ "، وهكذا - يدحض، بخبرة، المبادئ الأساسية للعقيدة الليبرالية الجديدة. بوجه خاص، يزعم أن كل فكرة السوق الحرّة هي إسطورة، نتاج ايدولوجية إقتصاديات لا موضوعية. رأسمالية السوق الحرّة ((تعوق الإقتصاد، وتفاقم من اللامساواة وعدم الإستقرار، وتقود الى المزيد من الإنهيارات المالية.)) كما يزعم تشانغ أن الأمم المتقدمة أمسكت عن عقيدة السوق الحرّة، وانها إنتفعت من السياسات التدخلية والمؤيدة لمذهب حماية الإنتاج الوطني: ((يمكن للحكومات أن تختار الفائزين، وهي تفعل ذلك.)) المبادئ المهيمنة الأخرى التي وضعها نشانغ على السفود على نحو دقيق تشمل إقتصاديات " التركل داون " [نظرية تفيد بأن الناس الأفقر يستفيدون تدريجيا من تزايد ثروات الناس الأغنى] والأفكار التي تقول بأننا نعيش الآن عصر المعرفة ما بعد الصناعية، حيث المصانع غير مهمة. كتاب تمهيدي ممتاز حول الحقائق الاقتصادية لحياتنا: نيّر، بارع وفي الوقت المناسب.

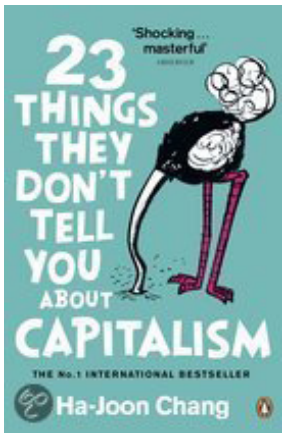

كتاب الهجرات

المؤلف: ريبيكا سولنيت

أصبحت سولنيت مواطنة آيرلندية في ١٩٨٦، بفضل بعض ((أعمال التحرّي البارعة)) التي قام بها عمٌ لها، تعقب آثار الجذور الآيرلندية لأمها. ((عشت تقريبا طوال حياتي في كاليفورنيا الهجينة، العاصمة العالمية لفقد الذاكرة،)) تقول. جواز سفرها الجديد منحها الفرصة لتحرّي الأفكار العامة عن الهوية، الذاكرة و السفر كغريبة في بلد غريب. رغم أنه ظاهريا محاضرة مصورة عن رحلة، فإن نص سوانيت، الإستطرادي على نحو مدهش، يمتد بعيدا و واسعا عبْر جغرافية و تاريخ آيرلندا، السياحة، الهجرة و السفر. اوصاف الأماكن و الناس تنتقل بإنسياب في تأمل مجازي رائع عن المنفى و حياة الترحّل. لقاءها مع مسافري آيرلندا (((مكروهين، معزولين، و أحيانا مثيرين للإعجاب))) هو تذكير مؤلم بقضايا الحقوق المدنية في الولايات المتحدة في سنوات الخمسينات و الستينات.

هذا الكتاب، الذي نُشر اول مرة في ١٩٩٧، بقدر ما هو حول فكرة السفر (((ما الحياة سوى شكل من الحركة ورحلة خلال عالم غريب)))، هو كتاب عن تجربتها في آيرلندا. إنها تكتشف أيضا واحدة من المتع غير المقدّرة للسفر وهي ((أن تكون أخيرا ضائعا ومرتبكا على نحو حقيقي)).

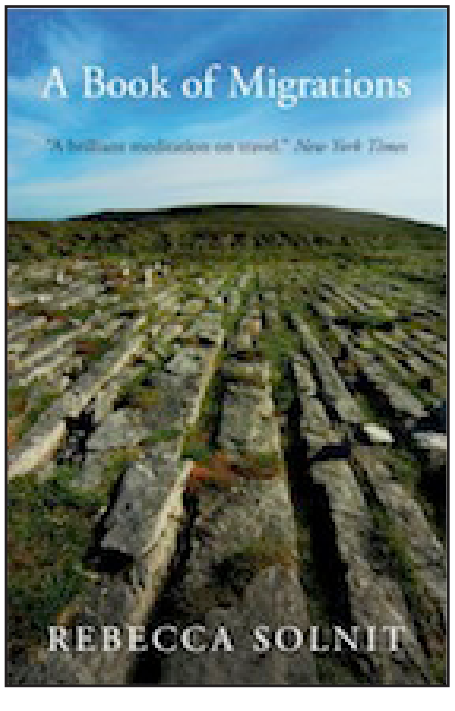

من شؤون المكتبة العراقية :

مصطفى جواد في كتاب جديد

كان أستاذنا د.علي جواد الطاهر لا يترك مناسبة تمرّ دون التذكير بأهمية الكشّافات والفهارس والكتب الأدلّة أو (الببلوغرافيات)، ويعدّها ملمحاً من ملامح الازدهار الثقافيّ في المجتمع،ويثني على جهود أصحابها ويذكّر بجهود العلماء العرب القدامى في هذا المجال،وجهود المستشرقين والمؤلفين الأجانب أيضاً،بخلاف ما يشيع في وسطنا الثقافي المحليّ من إهمال لهذا الضرب من التأليف أو التعالي الفارغ عليه،مع ما تدلّ عليه هذه الكشّافات من جهود مضنية مبذولة في التتبّع والاستقصاء والتحرّي والسؤال والاستشارة والعمل المتّصل في المكتبات العامة والخاصة.

د. نادية غازي العزّاويّ

مناسبة هذا الكلام كتاب جديد صدر عن بيت الحكمة في بغداد بعنوان : (الجهود العلمية للعلامة الدكتور مصطفى جواد – كشاف تفصيليّ لآثاره المطبوعة والمخطوطة)، ٢٠١١م،إعداد عبد الزهرة هامل غياض،مراجعة وتقديم أ.د.ناجية عبد الله ابراهيم.

للكتاب هذا مقدمتان :واحدة للأستاذة المراجعة تكشف فيه عن لمسة وفاء نبيلة حدتها إلى دفع هذا الكتاب إلى النشر،بعد أن عرض المعدّ مسوّدته عليها،ثم اختطفه الموت المفاجئ ،كما هو الشأن دائماً في بلدنا العزيز :جهود ودأب وتضحيات وتأليف وإنجاز يتربص بها موت مجانيّ على قارعة الطريق، فقد ((شاء القدر أن يتوفاه الله تعالى في يوم ٢٠٠٤/٥/١٥ بحادث مؤسف في مولدة الكهرباء)) ولم ير ثمرة جهده،فأية مفارقة أليمة !!

والكتاب ليس بعيداً عن عمل المعدّ فكان من ((الموظفين المخلصين في عملهم بمكتبة المجمع العلمي العراقي،رجلاً كريماً لا يألُ جهداً في خدمة الطلبة والباحثين وتيسير احتياجاتهم من الكتب المخطوطة منها والمطبوعة)) (ص٦) كما تنوّه الأستاذة المراجعة،و تحدّد بالأرقام المادة الكلية التي تضمّنها الجرد والإحصاء = ٢٦×كتاباً مخطوطاً لم تنشر بعد للعلامة.

ولا أدري هل سيطول انتظار القرّاء ؟ ومتى ستكتحل عيوننا بقراءتها ؟ وما مبررات التأخير وقد رحل العلامة منذ عام ١٩٦٩ ؟ من المسؤول : ظروف النشر ؟سلطة الأبناء بحكم التوريث؟ أياً كانت الأسباب فتأخير نشر هذه النفائس جريمة، كيف لا وزكاة العلم نشره، منها – على سبيل التمثيل : (المعجم المستدرك على معجمات اللغة العربية) و(معجم الجمل العربية الفرنسية) و(أصول التاريخ والأدب) و(معجم البلدان العراقية التاريخية).

×و من الحصيلة أيضاً ٣٧ كتاباً مطبوعاً بين تحقيق وتأليف وترجمة. و×٦٦١ مقالة وبحثاً في مختلف الصحف والمجلات العراقية والعربية. دون أن يدّعي المعدّ الإحاطة أو الاستقصاء : ((راجياً من الباحثين الأفاضل الذين يرون هذا النقص،ولهم علم بمجلات أخرى نشرت فيها مقالات وبحوث ... لم تذكر في هذا الفهرس، التفضّل بتزويدي على ما يعينني على استكمال الفهرس،علماً أني ما زلتُ دائباً في التقصّي والتنقيب أملاً في العثور على ما فاتني منها لاستكمالها)) (ص٩). ولم يحسب حساباً للمولدة التي ستختطفه وتحول دون استكمال مشروعه الجليل،الجدير بالمواصلة والإتمام من باحثين آخرين. وباب الاستدراك والتصحيح والزيادة مفتوحة في هذا الضرب من التأليف،وهو من بعض أسرار حيويّته وصعوبته أيضاً.

ميزة هذا الفهرس تنوّع محاور توزيعه : أولاً : اعتماد التصنيف الأكبر : مخطوطات،مطبوعات،مقالات وأبحاث،وثانياً : اعتماد الترتيب الزمني للمادة المنشورة، وثالثاً : الترتيب الهجائي للعنوانات مع أرقام مفاتيح، كل ذلك لتسهيل الأمر على الباحث. (ص١٠). وأورد جدولاً ب(٦٥) عنوان مجلة عراقية وعربية و(٣) عنوانات صحف كان ينشر فيها الراحل،منها : مجلات : الآداب،الأديب،الثقافة ا لقا هر ية ، ا لر سا لة ، ا لكتا ب المصرية،سومر،مجلة المجمع العلميّ،لغة العرب،الهلال،المشرق البيروتية،المعارف، المقتطف،المورد.وهي من كبريات المجلات ممّا يلقي ضوءاً كافياً على الجهود الذاتية التي بذلها هذا الجيل الرائد من العلماء العراقيين في نشر وتسويق نتاجهم خارج حدود العراق،والانفتاح على المراكز الثقافية والإعلامية البارزة في القاهرة وبيروت.

قراءة هذا الكتاب تؤكد حقيقة أنّ مصطفى جواد امتداد للعلماء الموسوعيين في تراثنا،أنه يذكرك بالجاحظ في تعدّد مجالات اهتماماته،فقد كتب جواد في التاريخ والخطط والنحو والصرف وشؤون اللغة المختلفة فضلاً عن السير والتراجم والرحلات....إلخ،ومما يجمعه بالجاحظ أيضاً روح النكتة والنادرة والأريحية،وبعد الصيت والشهرة،ثم هذا الحضور المتوهج في الوجدان الشعبي،وقبل كل شئ كلاهما ولد وعاش ودفن على ثرى هذه الأرض المشرّفة : وادي الرافدين العريق. وممّا أضفى على الكتاب أهمية الترجمة الذاتية التي كتبها العلامة عن نفسه والمنشورة في كتابين قديمين، أحسن معدّ الكتاب إذ أعاد نشرها في مستهل كشافه،لما تحويه من معلومات قيمة هي مفاتيح لا غنى عنها لمن يروم فهم هذا الرجل/ الظاهرة، في رحلة كفاح مريرة من المشقة والفقر وشظف العيش تبدو سمة مشتركة بين العباقرة إذ تصقلهم الحياة بقسوة وعسف في كثير من الأحيان،يقول في إحدى الصفحات : " فدخلت المدرسة وكنت مضيقاً دائماً لأنّ غلة البساتين من التمر لم تكن تكفي في الإنفاق،ومرّت عليّ أيام لم أستطع فيها أن أشتري حذاء بدلاً من حذائي العتيق البالي المنهري " (ص١٥). فضلاً عمّا تحويه ترجمته من صفحات مفيدة في تاريخ العراق، ولاسيما جملة من الوقائع الخاصة بثورة العشرين في بعقوبة ودلتاوة،التي شهدها بأم عينه :مجريات الأحداث وأسماء عدد من الشخصيات، وتفصيلات مفيدة وغنية من تاريخ التعليم في العراق في نهاية العهد العثماني وفي العهد الملكي،لاسيما دور المرأة في الكتاتيب (الملايات)،وهي جهود لا أحسب أنها أعطيت حقها من الاهتمام والكشف بالرغم من قيم الريادة والشجاعة العلمية والاجتماعية التي تنطوي عليها.

هذا الكتاب جهد طيب جدير بالتقدير بالرغم مما شابه من نقص في المعلومات حيناً،وكثرة الأخطاء الطباعية التي أفسدت متعة القراءة في صفحات كثيرة و كثرة الأبيات الشعرية المكسورة والناقصة،فكان الأمر يستلزم متابعة واهتماماً أكبر في الطبع والإخراج.

رحم الله المعدّ عبد الزهرة هامل غياض وأسكنه فسيح جناته .

قدر الأخوة

المؤلف: كِفن هولوهان

دار: نو إكزست برس

مدرسة غودلي كوريشن للصبيان في ميغر مينس هي معهد ديني قمعي على نحو مروّع، حيث يتحمل فتيان دبلن السيئو الطالع التعليم بالإستحضار دون فهم والضرب المتكرر والرواقية، وجزاء أن يُرسلوا الى مدارس صناعية، فيها الأحوال حتى أكثر سوءً. يضمّن هولوهان طقوس الإعتراف، التي يؤديها التلاميذ، فكاهة مدمّرة: ((لم أذهب الى القدّاس، ذكرت إسم الرب عبثا وسمحت لقس الابرشية أن يتحرّش بي)) ؛ وفي الظهور الأول لروايته يحذف، بشكل مفهوم، هذا التحرّش من جانب القسسة، الذين يُقَدَمون، مع بعض الإستثناءات،كمفسدين، ساديين عصابيين. تدور حبكة الرواية حول محاولة مضحكة لإعتبار سقف منهار كمعجزة، في حين أن تمثال مكسور لمؤسس المدرسة يظهر أنه يسفك دما. لكن ثمة غضب شديد يكمن خلف التهكم اللاذع لهولوهان، حيث الأساس الفاسد للمدرسة - ((كانت تنتصب شبيهة ببيت من ورق اللعب، قائمة فقط بالعمل السيء ونوع من التخشب الموتي)) - الذي يرمز الى ثقافة متقيحة من الفساد والظلم، كانت مقبولة في تعليم كاثوليكي آيرلندي لسنوات.

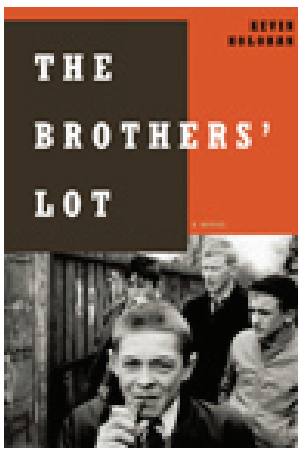

الغائب البرتو مانغويل يكتب عن بحث في الحب، الحقيقة، الخلاص

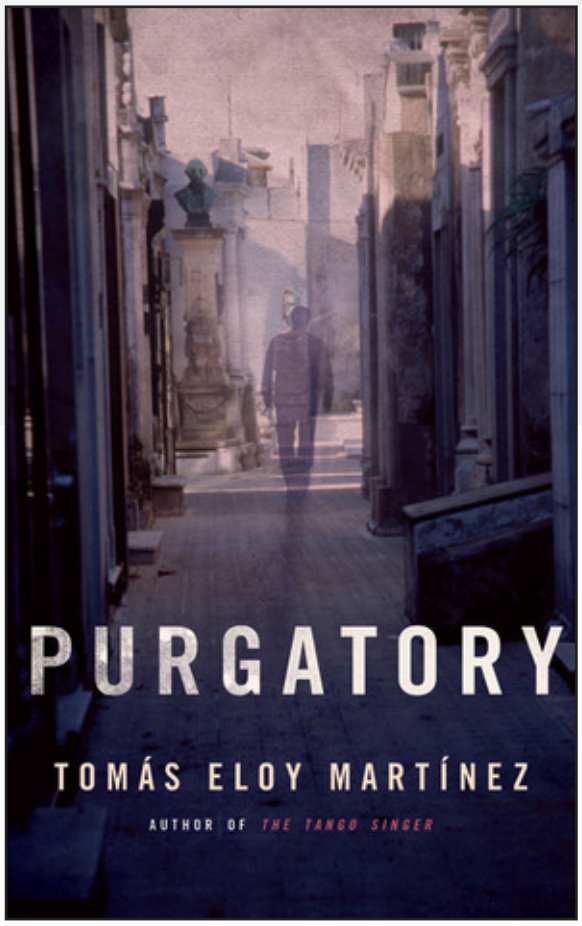

إسم الكتاب: المَطْهَر
المؤلف: توماس ايلوي مارتينيث
ترجمة: عباس المفرجي

رأيت توماس ايلوي مارتينيث آخر مرّة في سنة ٢٠٠٩، في بوينس آيرس، بشهور قليلة قبل وفاته في السنة التالية. قال لي إنه يفكر بكتابة رواية عن الدكتاتورية الأرجنتينية، التي إستنزفت البلاد من ١٩٧٦ حتى ١٩٨٢، لكنه أراد أن يفعل هذا من دون أوصاف للأعمال الوحشية، من دون مشاهد للإغتصاب والتعذيب ــ بالأحرى، إعادة خلق الشعور بـ ((التنفس في هواء ملوّث)) للزمن. ((بعيشنا في التاريخ،)) قال، ((نحن نفقد الوضوح. لمثلي التاريخ، الوضوح هو ما كان على الدوام غائبا. أتمنى أن يكون بمقدوري كتابة ذلك.)) في " المَطْهَر "، المترجَمة على نحو باهر من قبل فرانك واين، تحققت أمنيته الأخيرة.

مثل اولئك الذين عانوا خلال حقبة مثل هذه، أعرف أن حالة الغياب هي شديدة بوجه خاص في عصور الدكتاتورية. الصمت القسري والإيماءات المحرّمة، تفشّي الخوف والرقابة على الذات، التهديد بالنفي والموت، كانت ملامح الحياة اليومية في ظل النظام العسكري في الأرجنتين، بلدا كان تقريبا ديمقراطيا إعتبر نفسه في مأمن من الرعب التوتاليتاري للقرن العشرين، فأصبح برهانا على أن ما من مجتمع مستثنى منه. غياب الحقيقة، غياب الحرية، غياب الكرامة: أضحى البلد مسكونا بأشباح الغياب.

خصوصا شبح الحالة التي صارت تُعرَف بـ " الإختفاء ". كان الناس يختفون ولا أحد يعرف إن كانوا لا يزالوا أحياء، سواء أعتقلوا وعُذبوا أو قُتلوا، إن كانوا تدبروا أمر الهروب ويعيشون الآن حياتهم في الخفاء في مكان ما خارج الحدود. إميليا دوبي، بطلة " المطهر "، تعتقد أن زوجها، سيمون كاردوسو، الذي آخر ما سُمِع عنه أنه كان يتابع خريطة على درب ريفي في البرية الأرجنتينية، هو واحد من المختفين. أعلن شهود أن سيمون كاردوسو كان تمّ القبض عليه من السلطات العسكرية، وعُذب وقُتل، لكن إميليا ترفض تصديق ذلك. لثلاثين عاما، وضد كل العقبات التي وضعها والدها، المناصر للعسكر والشريك في الأعمال الوحشية، تبحث إميليا عن سيمون في الأرجنتين، البرازيل، فنزويلا والولايات المتحدة، مقتفية أثرا بعد أثر وهمي. ثم ذات يوم، في مطعم في نيوجرسي، عثرت عليه. هل سيمون حقيقي، أم هو شبح إستحضره رفض إميليا لموته؟

من يوليسيس الى مارتن غورّ، قصة العودة المؤجلة تشهد على الأمنية العقيمة بأن قصصنا سوف لن تنتهي كلها على نحومأساوي. بالأمل بأن إختفاء ما هو فقط غياب طويل، فإننا نواصل توقع المعجزات، الأقل إستحالة في أذهاننا المرتعبة من الحقيقة المطلقة لموت مجهول. بالنسبة لإميليا، سيمون حي، أو بالأحرى، ((على هامش الحياة مراقبا كيف تتحول الأشياء، تختفي، وتولد)). منذ اللحظة التي تسمع فيها (من عمة لها) أن سيمون شوهد في الريو، مصادفة، بعد ثلاثين عاما، تتسلق إميليا ((الشرفات السبع لمطهرها في الحب))، كما يصوغها الراوي، بطريقة ما، على نحو عاطفي. الإشارة، بالطبع، هي الى دانتي (كل قسم من أقسام الرواية الخمسة تحمل عبارة مقتبسة من " الكوميديا الإلهية ")، الشاهد على ظلم عصره، المؤمن بالخلاص عبْر الحب، سيد اللقاءات غير المتوقعة مع الأشباح، والموحي بالأمل العظيم للأدب.

تُروى القصة من خلال شخصية المؤلف، وهو نفسه منفي من الدكتاتورية. مارتينيث يلتقي إميليا في نيوجرسي، يبدأن بالتعارف، يستمع الى الوقائع كما ترويها هي، ويعيد روايتها للقارئ. في نظام مبني على أكاذيب وخداع، وتحت الظل الطويل من آثار كارثته، لا يمكن لأي قصة أن تكون موثوقة بالكامل، ولا إعتراف له ثقل البرهان المطلق، لا شيء مؤكد بإستثناء الأعمال الوحشية نفسها، وحتى تلك التي تكتسب ميزة اللامُتخيَل، من ذلك الذي يبدو كامنا خلف ماهو إنساني لكنه، على نحو لا يُطاق، إنساني أكثر مما ينبغي. من خلال بحث إميليا، يردد الراوي صدى الأسئلة النامية لبلد بأكمله: كيف كان هذا ممكنا؟ كيف يقيّض لنا العيش اليوم بينما كل هذا حدث بالأمس، في حضورنا؟ كيف نستطيع أن نحوّل الإختفاء الى ظهور، الى واقع حقيقي، الى إدراك بتاريخنا المخزي؟ كيف يمكننا أن نقرر أشباح الأحياء من أشباح الموتى؟

تقرير سياسي رائع، أنجزه مارتينيث في رواياته التي تمزج بين الواقعة الصحفية الدقيقة وأدوات الرواية. قال إنه تعلم الحرفة عندما إستدعاه الدكتاتور المبعد خوان بيرون، في نهاية الستينات، الى عزبته الاسبانية ليساعده في كتابة مذكراته، التي كانت، كما أدرك الصحفي الشاب سريعا، من محض الخيال في جزء كبير منها. نتيجة تجربته هذه، التي تم نشرها في منتصف الثمانينات، كانت كتاب " رواية بيرون ". تبعتها بعد عقد من السنين تحفته " سانتا إيفيتا "، التي قال عنها غارسيا ماركيز، الشحيح في الغالب في المديح، ((إنها الرواية التي كنت دائما أود قراءتها)). رواية " المطهر "، المنشورة بعد وفاة مؤلفها، تتكشف عن كاتب في قمة حرفته، وهي خاتمة ملائمة لعمل واحد من أكثر روائيي امريكا اللاتينية تميّزا.

عن صحيفة الغارديان

طريق كالاهاري

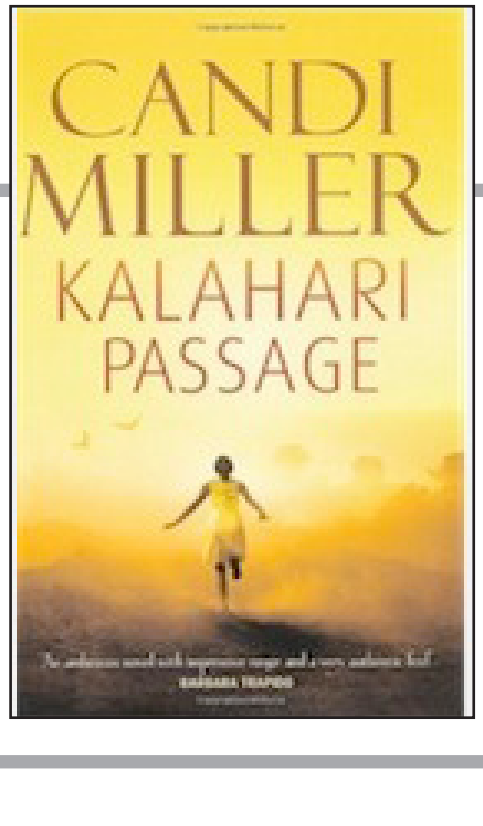

المؤلف: كاندي ميللر

هذه هي تتمة لرواية سابقة، " ملح وعسل "، وستكون حقا إضافة لتجربتنا في قراءة هذا الكتاب لو بدأنا بقراءة الأول. تدور أحداث الرواية في جنوب أفريقيا التمييز العنصري في ١٩٦٤، وتبدا حين تكون كوبا، فتاة من السكان الأصليين من السان، ملقية في صحراء كالاهاري عقابا أخيرا لها لإقامتها علاقة مع فتى أبيض. السان هم الناس الفطريون للكالاهاري. المؤلفة كاندي ميللر إمرأة بيضاء ولدت في زامبيا ونشأت في جنوب أفريقيا. عندما يكتب كاتب ما من وجهة نظر أناس مختلفين جدا عن أصله، يتبادر الى الذهن شكوكا حول الموثوقية. لكن حين تقود ميللر القارئ باعمق مايكون، لا فقط داخل الصحراء بل داخل لغة وعادات شعب السان، فمن الصعب عدم التصديق بانه يمكن للمرء ان يرى العالم بعيون مختلفة وأسرة. تنضم كوبا الى جماعة مرتحلة ينادون بها جالبةً للمطر، لكنها تعرف أنها لن تجلب سوى المتاعب، في شكل رجل أبيض يطاردها. رواية جميلة ومحكمة.

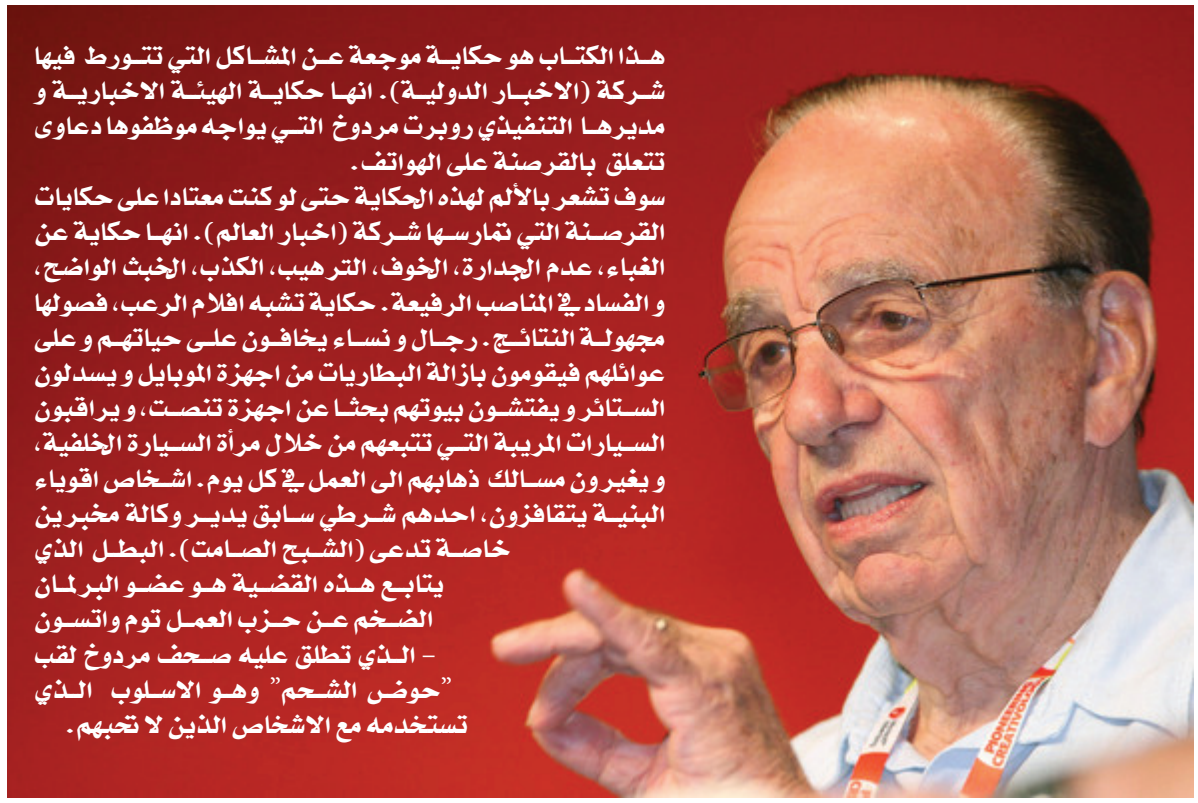

هـذا الكتـاب هو حكايـة موجعة عـن المشـاكل التي تتـورط فيها شـركة (الاخبـار الدوليـة). انهـا حكايـة الهيئـة الاخباريـة و مديرهـا التنفيذي روبرت مردوخ التـي يواجه موظفوها دعاوى تتعلق بالقرصنة على الهواتف.

سوف تشعر بالألم لهذه الحكاية حتى لو كنت معتادا على حكايات القرصـنة التي تمارسـها شـركة (اخبار العالم). انهـا حكاية عن الغباء، عدم الجدارة، الخوف، الترهيب، الكذب، الخبث الواضح، و الفساد في المناصب الرفيعة. حكاية تشبه افلام الرعب، فصولها مجهولـة النتائـج. رجـال و نسـاء يخافـون علـى حياتهـم و على عوائلهم فيقومون بازالة البطاريات من اجهزة الموبايل و يسدلون السـتائر و يفتشـون بيوتهم بحثـا عن اجهزة تنصـت، و يراقبون السـيارات المريبة التـي تتبعهم من خلال مرأة السـيارة الخلفية، و يغيرون مسـالك ذهابهم الى العمل في كل يوم. اشـخاص اقوياء البنيـة يتقافزون، احدهم شـرطي سـابق يديـر وكالة مخبرين خاصـة تدعى (الشـبح الصـامت). البطـل الذي يتابـع هـذه القضـية هـو عضـو البرلمـان الضـخم عـن حـزب العمـل توم واتسـون – الـذي تطلق عليه صـحف مردوخ لقب "حوض الشـحم" وهـو الاسـلوب الـذي تستخدمه مع الاشخاص الذين لا تحبهم.

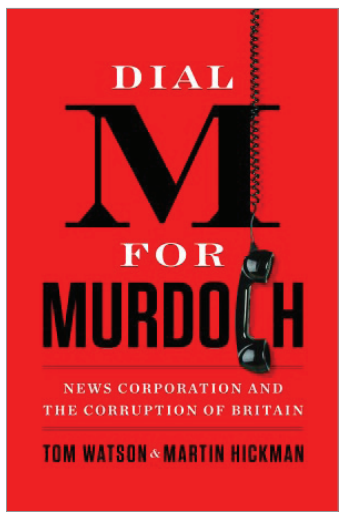

اسم الكتاب: اطلب مردوخ على الهاتف

اسم المؤلف: توم واتسون و مارتن هيكمان

ترجمة: عبدالخالق علي

هل ستكون قرصنة الهاتف اكبر من فضيحة ووترغيت؟

يبدأ الكتاب باقتباس من كارل برنستين احد صحفيي الواشنطن بوست الذي نبش قضية ووترغيت مقارنا قرصنة الهاتف بتلك الفضيحة الشهيرة. في الواقع ان التشبيه قريب جدا، يصل الى درجـة ان (الاخبار الدولية) كانت تتنصت على ربيكا بروكس، مديرها التـنفيـذي، مثلما كـان ريتشارد نيكسون يتنصت على مكتبه الخاص في البيت الابيض. في كلتا الفضيحتين كانت الافعال القذرة تجري على يد عاملين بمستويات صغيرة. التحقيقات لم تؤكد ان هؤلاء العاملين يعملون بناء على اوامر من المستويات الاعلى منهم، لكن في قرصنة الهـاتـف، كمـا هـي الحـال مـع ووترغيت، ينخرط مسؤولون كبار – لا نعلم لحد الان مدى مستوياتهم – من خلال عملية تمويه منظمة.

مع المزيد من التوسع في التحقيق، يمكن الزعم بـان قرصنة الهـاتف هـي اكبر من فضيحة ووترغيت. ربما كان نيكسون زعيم اقـوى دولـة في العـالم الا انـه كـان مجرد رئيس سافل و خبيث. من جـانـب آخـر، فان اخبار هيئة مردوخ الاعلامية العالمية يستخدمها مليار شخص سنويا و يبدو ان التغطية على القرصنة لا ينخرط فيها زعيم سياسي واحد فقط و انما كل المؤسسة السياسية البريطانية، بالاضافة الى الشرطة و المؤسسات القانونية و الكثير من وسائل الاعلام.

ما لم يذكره الكتاب هو المدى الذي ذهبت اليه (الاخبار الدولية) في التغطية على فضيحة القرصنة و كيف ابعدت الشركة نفسها عن هذه الفضيحة قبل الاعلان في تموز ٢٠١١ عن تعرّض هاتف ميلي دولر للقرصنة.

في كـانـون الـثـانـي ٢٠٠٧ تم حبس كليف غودمان مراسل (أخبار العالم) المخصص للعائلة المالكة مع المخبر الخـاص غلين مولكير، حيث حصلت الشرطة على دليل بان اهداف مولكير تجاوزت العائلة الملكية و ان هناك العديد من المراسلين الاخرين انخرطوا في القضية. مع هذا فلم يتبع ذلك أي تحقيق مناسب و لم تجـري اعتقالات اخرى لغاية ٢٠١١، حيث نشرت الشرطة في مناسبات مختلفة سلسلة من الاعذار التـي لا يمكن تصديقها منها: انها كانت منشغلة بالتحقيق في قضايا ارهابية، و ان مولكير كان قد تنصت على عدد قليل فقط من الهواتف، و ان القانون يسمح بالمقاضاة في حالة مقاطعة رسالة صوتية قبل ان يسمعها صاحب الهاتف.

ربما تكون الشرطة خائفة، فعندما داهمت مكاتب (اخبار العالم) صبيحة اعتقال غودمان واجهت رد فعل عنيف غير متعاون و بالتالي غادرت و لم تجرؤ على العودة. بعد كشف الاسرار كان اول رد فعل للاخبار الدولية هو الانكار و من ثم الضغط على الصحف و على اعضاء مجلس النواب (تزامن هذا الضغط مع نصيحة كبار مسؤولي الشرطة) من اجل الكف عن تحقيقاتهم، و بالتالي اتخاذ خطوات اخرى لمحو آثار الفضيحة.

في تشرين الثاني ٢٠٠٩، وافقت الاخبار الدولية على سياسة حذف رسائل البريد الالـكـتـروني "غير المـفـيـدة" مـن نظام حاسوبها الداخلي، و في نفس الفترة كانت الشركة تخرّب حواسيب المراسلين بحجة اجـراء عملية "تطوير فنية روتينية". في كانون الثاني ٢٠١١ تم الغاء مجموعة البريد الالكتروني الخاص بجيمس مردوخ، الذي كان حينها يشغل منصب رئيس المدراء التنفيذيين في هيئة اخبار اوربا و اسيا، و المتعلقة بغوردن تايلور مسؤول اتحاد كرة القدم الذي تلقى مبلغ ٦٤٥ الف باون لكي لا يقع هاتفه بيد الشرطة، كجزء من "برنامج التحديث". كان محو الرسائل الالكترونية مستمرا حتى اغلاق اخبار العالم في تموز ٢٠١١، عندما قدمت احدى شركات التقنية التي استخدمتها الاخبار الدولية افادتها امام لجنة منتخبة من وزارة الشؤون الداخلية. ليس من المستغرب ان يقول احد القضاة في كانون الثاني هذا العام، و الذي رفض طلبا بايقاف تفتيش حواسيب الموظفين السابقين في اخبار العالم، بان الشركة يجب التعامل معها على انها تمحو الادلة بشكل متعمد.

كـانـت صـحـف مـردوخ تستهين بقصص القرصنة التي نشرتها الغارديان و غيرها من الصحف. يشبّه روجـر الـتـون – المحرر في الـتـايمـز و قبلـها في الاوبـزرفر و الاندبندنت – تجاوزات اخبار العالم بسرقة الممتلكات مـن المـنـازل. اما بوريس جونسون عمدة لندن، فانه يصف ادعاءات الغارديان بانها طبخة من طبخات حزب العمل، و في نيسان ٢٠١١ كان معاونه كيت مالتهاوز يضغط على السير بول ستيفنسون – مدير شرطة العاصمة – لكي يتجاهل "هستريا الاعلام السياسي".

لدى هيئة الاخبار الدولية حلفاء و عملاء في الاماكن المناسبة. عندما نشر(نك ديفيز) من الـغـارديـان عـام ٢٠٠٩ اولى القصص التي توحي بـان اخبار العـالم تستخدم القرصنة، وقف حزب العمل و المحافظون الى جانب مـردوخ و دعمـوه في انتخابات ٢٠١٠. و لدى اخبار العالم عشرة موظفين سابقين في قسم الشؤون العامة لاسكتلند يارد، و كان محررها السابق اندي كولسون يعمل في مكتب ديفيد كاميرون.

الممثلون – من بين الضحايا الرئيسيين للقرصنة – هم اناس سلسون لا يجرؤون عـلـى تحـدي أي صـاحـب سـتـوديـو افـلام في هوليود، اما بالنسبة للباحثين عن الحقيقة في السلطة الرابعة فـان قـلـيـلـين منهم كـانـوا يـرغـبـون بـضـيـاع فـرصـة العمل في صحف مـردوخ الـعـديـدة و اذاعـاتـه في بريطانيا والولايات المتحدة. اما المبوّقون فعندما افشى موظف سابق في اخبار العالم السر لصحيفة نيويورك تايمز، التقت به الشرطة بحذر شديد (بعكس كـولـسـون الـذي اعـتـبـروه شاهدا). و فيما بعد توفي المبوّق نتيجة مرض له صلة بالكحول.

اذا مـا فـشـلـت كل الوسـائـل فـان صحف مردوخ لديها الرادع الاخير: و هو التهديد بالتحقيق و نشر تفاصيل الحياة الخصوصية لأي شخص يعارضها. حتى الذين ليس لديهم شيء يخشونه كانوا يخافون من ان تتعرض عوائلهم للفضائح، و هذا هو ما اعطى شركة الاعلام المسيطرة هذه سلطتها الفريدة و بالنتيجة فانها تستطيع ان تبتز أي شخص كان و لا فائدة من التوجه للشرطة لأنها هي نفسها تشعر بالخوف. من المحتمل ان يتفوق الخوف على الحقيقة الا ان القليل من الناس يخاطرون بذلك. جرى نشر سيرة ذاتية معادية لروبرت مردوخ عام ٢٠٠٨، تبعها فورا قيام صحيفة يملكها مردوخ بنشر فضيحة علاقات جنسية خارج اطار الزواج لكاتب السيرة. يقول نيفيل ثرلبيك، مراسل سابق في اخبار العالم، بان احد المحررين قد ابلغهم قائلا "اعثروا على أي شيء عن أي فرد" من اعضاء اللجنة الاعلامية التي اختارها مجلس العموم و التي كان واتسون احد اعضاءها. استأجرت الصحيفة وكالة (الشبح الصامت) لتتابع تحركات واتسون اولا بأول و اخيرا استخدمت نفس الشركة لوضع محاميي ضحايا القرصنة تحت المراقبة.

يبدو ان القصة لا تنتهي، فلا تكاد الاخبار الدولية تصل الى تسوية مع مجموعة من ضحايا القرصنة حتى تظهر مجموعة اخرى. فبعد ان خرج كولسون من مكتب رئيس الـوزراء، وصل تهديد للسكرتير الثقافي جيرمي هانت. امتدت تحقيقات الشرطة الى قرصنة الحاسوب و الى الحيازة غير القانونية للبيانات الخاصة و الى فساد الشرطة و غيرهم من المسؤولين. يبدو ان مـردوخ و عائلته سيضطرون الى بيع كل صحفهم البريطانية و ربما مصالحهم الاخرى و حتى الهيئة الاخبارية نفسها. لا شيء يدوم للابد حتى مردوخ، لكن لا يمكن لأحد ان يثق بانه لن يعود. فالألتواءات الكثيرة في هذه القصة لم تأت بعد. هذا الكتاب يغطي الوجبة الاولى فقط، و ما سيأتي قد يكون مثيرا اكثر.

نيلسون مانديلا.. مسيرة طويلة نحو الحرية

"إن الحرية لا تقبل التجزئة.. لأن القيود التي تكبل شخصاً واحداً في بلادي إنما هي قيود تكبل أبناء وطني أجمعين"

مانديلا

إن المتأمل في تاريخ البشرية، المنقب في تراثها الغني، الباحث عن جوهر التاريخ ودروسه، لا بد وأن يستوقفه مدى الظلم والحيف والجشع الذي يلطخ تاريخ البشرية عبر مسارها الطويل، ذلك الجزء من التاريخ الذي صنعه الطغاة والبرابرة والعنصريون، مستندين إلى شهوة الدم والقتل، مستمدين شريعتهم من الجيوش والآلات والسجون، رافعين سلاح الشر والباطل، متشربين قيم البطش والقتل والاستبداد،ليقتلوا قيم الحرية والعدالة والمساواة المتأصلة في جوهر الإنسان،تلك القيم التي تشكل الجوهر الحي للإنسان ووجوده على الأرض، وتمثل الجذر القوي للديانات والفلسفات والنظريات مذ وجد الإنسان على الأرض، كما أنها تعد الجزء الثاني والحي من التاريخ، تاريخ الفقراء والمهمشين والمناضلين والأحرار،المسلحين بقوة الحق، المضمخين بتراث الحرية وقيم العدالة والتنوير،الرافعين شعار البحث عن مستقبل أفضل وحياة أجمل، لكل البشر، بغض النظر عن ألوانهم ومعتقداتهم وأديانهم، حياة قوامها العدل والحرية والمساواة لا حياة الذل والقهر والاستبداد.

وما تاريخ الإنسان عبر مساره الطويل، إلا تاريخ النضال المسلح بقوة الأمل من أجل الوصول إلى الحرية، تلك الكلمة السحرية التي سقط الكثير من المناضلين على دروبها من أجل أن يحيا الإنسان حرا كريما. ولكل أمة من أمم الأرض أبطالها وأحرارها الذين غدوا مثلا وقدوة للأحرار على مدى التاريخ البشري، منهم من ضحى بدمه ليروي شجرة الحرية،ومنهم من غيبته السجون سنيناً طوال، ومنهم من عرفته شوارع المنافي والجبال والغربة، بدءا من سقراط وتجرعه سم الحرية،إلى ابن عربي والحلاج اللذين استشهدا لتحيا حرية الكلمة، إلى أبطال الثورة الفرنسية، إلى لينين الذي قاد ثورة اكتوبر، وغاندي و باتريس لومومبا وماو تسي تونغ، ونلسون مانديلا (زهرة الربيع السوداء) التي توجت تاريخ القرن العشرين بأعظم مثال عن صراع الإنسان ونضاله من أجل الحرية، بعد نضال دام نصف قرن، أمضى منها سبعة وعشرين عاما داخل السجن، ليزيح واحدة من أسوأ النقط السوداء التي لطخت تاريخ البشرية، نظام التفرقة العنصرية الذي حكم جنوب افريقية لمدة ثلاثة قرون،ذلك البلد الغني بثرواته ومناجمه وطبيعته الذي ربما بدأت مشاكله مذ رأى البحارة البرتغاليون صخور رأس الرجاء الصالح التي تقسم المياه إلى محيطين هما المحيط الأطلنطي والهندي، حين هتف قائد الأسطول (بارتلو لميو دياز):

– (إنه أروع مشهد يمكن أن يراه بشر).

بعد سفينة دياز بعشرة أعوام، سلك فاسكو داجاما نفس الطريق، وهو يبحث عن ممر آمن يقوده إلى الهند، ولم تكتشف أهميتها إلا في القرن السادس عشر أثناء الصراع الإنكليزي الهولندي من أجل السيطرة على بحار العالم، حين هبط جان فان رابيك عام ١٦٢٥ إلى الشاطئ، ليشرف على إقامة مزارع للمستوطنين الهولنديين الذين بدأ عددهم يزيد بعد انضمام أعداد من المتشددين الدينيين من ألمانيا وفرنسا، باحثين عن أرض بكر وخصبة، فبدؤوا بالابتعاد عن الساحل والتوغل في عمق الغابات ولم يكن معهم إلا العربات الخشبية التي تجرها الخيول، وبعض البنادق إضافة إلى الإنجيل،كانوا متطهرين وقساة، لا يترددون في إطلاق النار بلا رحمة على القبائل البدائية التي كانت تجرؤ على الظهور في طريقهم.

وفي عام ١٩٥٧ قررت بريطانيا امتلاك (كاب تاون) حتى تقطع على فرنسا الطريق إلى الهند، وقد استغرق ذلك مدة طويلة ومقاومة شرسة من البوير الأفريكانيين أصحاب، العربات الذين عبروا نهر البرتقال، وأسسوا أربع جمهوريات قصيرة العمر انتهت بتكوين جمهورية جنوب افريقية بعد توقيع معاهدة سلام بين البريطانيين والأفريكان،معاهدة لم تعترف إلا بحقوق البيض فقط وتركت ٨٠بالمئة من سكان البلاد والملونين، لم تعطهم أي حقوق سياسية ولم تحررهم من العبودية مم أثار موجة كبيرة من الإحباط لدى السود والملونين، الأمر الذي ساهم بإيقاظ الوعي الأسود وخاصة مع تزايد عدد عمال المناجم،الذين أصبحت جنوب أفريقيا بسببهم تنتج ثلث ذهب العالم وهنا بدأت الحركات والأحزاب السياسية الأفريقية بالتكون لتحمل لواء النضال من أجل الحرية ومنها حزب المؤتمر الوطني الأفريقي الذي تأسس عام ١٩١٢ (قبل ٦ سنوات من ولادة مانديلا) على يد جون دوبي، وهو الحزب الذي سينتسب إليه مانديلا بعد أكثر من ربع قرن لمواصلة نضال أسلافه من أجل الحرية، ليتداخل تاريخ بـــلاده مـع تـاريـخـه الشخصي، وليغدو جزءا من تاريخ البشرية (فتاريخ حياته جزء من التاريخ العام الذي دخله بالجلد والتواضع وإعلاء الروح الإنسانية).

فكتابه(رحلتي الطويلة من أجل الحرية)،تاريخ يتقاطع مع التاريخ العام ويتوازى مع المحطات الكبرى التي مرت بها جنوب أفريقيا، بدءا من عام ولادته ١٩١٨ (السنة التي زار فيها وفد عن حزب المؤتمر الوطني الأفريقي مؤتمر فرساي للسلام لطرح مظالم الشعب الأفريقي في جنوب أفريقيا)، إلى تاريخ إقليم ترانسكاي، وقبائل الكوسا ونسبها،إلى جوهانسبيرغ،وبريتوريا، وجزيرة روبن التي تحولت إلى مزار سياحي، بعد أن كانت منفى للمصابين بالجذام، ثم منفى لأحرار جنوب شرق أسيا، ثم أصبحت سجن طويل الأمد لكل السود الحالمين بغد مشرق،إضافة إلى تاريخ المؤتمر الوطني الأفريقي، وولادة إمكا (رمح الأمة) وكلها محطات هامة في تاريخ جنوب افر يقيا ونيلسون مانديلا معا، حيث يتوازى الشخصي مع العام والذاتي مع الموضوعي، ليتوحدا في مشروع واحد، قوامه النضال من أجل الحرية والعدالة وهنا النقطة الأهم التي تميّز بها القائد الكبير مانديلا فهو لم يعتبر نفسه جسماً منفصلاً عن التاريخ أو نيزكا شاردا عن الشعب،بل يؤكد بما لا يدع مجالا للشك بأنه ابن لهذا الشعب العظيم الذي استمر نضاله ثلاثة قرون. وما نضاله الشخصي إلا استكمالا لنضال الرجال الذين سبقوه والذين سمع عنهم في طفولته أبطال الكوسا العظام من أمثال شاكا وماكوما وماكانا حيث يقول:

(بينما كان والدي يروي لنا قصص المعارك التاريخية وبطولات قدماء المحاربين من أبناء الكوسا كانت أمي تتغنى بأساطير الكوسا وملامحهم وأساطيرهم التي تعود إلى أجيال غابرة، وكانت تلك القصص تثير خيالي الغض لما كانت تحمله من مغاز عميقة ومتنوعة).

كما أن نضاله ليس سوى استمرار لنضال أبيه الذي وقف في وجه الحاكم الذي طلب حضوره بسبب خلاف على الماشية قائلا:

(ـــ لن أحضر لأنني أتوشح سيفي استعدادا للمعركة أراد والدي بجوابه ذاك أن يبّين أنه ليس للحاكم المحلي سلطان شرعي عليه وبأنه في الشؤون القبيلية لا يلتزم بقوانين ملك إنكلترا ولكن بتقاليد التيمبو وأعرافهم).

في الوقت الذي التزم والده بتقاليد التيمبو فقط،وسّع مانديلا التزاماته لتشمل جنوب أفريقيا بكاملها منصتاً لآمالها، ومتطلعاً إلى تخليص شعبها. بيضا وسودا.من كل عذاباتهم، آخذا بيدهم نحو العدل والمساواة، ساعياً لتحقيق ديموقراطية تعلّم أولى أبجدياتها، مذ كان طفلا في المكان العظيم عندما كان يتم الاجتماع لمناقشة مشاكل الإقليم.

ولعل أهم ما يميز مانديلا ذلك التواضع الجم الذي يميز مسيرته، فهو لا يدّعي العلم بكل شيء بل يتعلم من كل ما يصادفه في حياته درسا ما،يضيفه إلى تجاربه وعلومه، فهو يتعلم من السجن والحياة والخصم والسجان والرؤساء والكتب بل نراه في صباه يتعلم حتى من الحمار إذ يقول بتواضع: (وبعد أن أهانني الحمار أدركت أن إهانة الآخرين معاناة لا داعي لها وتعلمت منذ صغري أن أنتصر على خصومي ولكن دون الإساءة الى كراماتهم) .

ونراه يتعلم من الحب عندما أحب ديدي التي تعمل خادمة في البيوت، وهي حبه الثالث فيقول بعد أن يتردد في إعلامها بحبه: (إن التعقل في السياسة فضيلة، ولكن ليس كذلك في الحب) إن ذلك النهم للمعرفة والتعلم من كل شيء هو الذي سيطبع شخصيته،ويجعل منه قائداً مرناً قابلاً للتكيف مع الظروف والمعاناة،وسيجعل منه إنساناً مقارعاً للظلم مناضلاً من أجل إعطاء كل ذي حق حقه، وفياً مع الآخرين ومع ذاته، عصامياً، محاوراً، مدافعاً عن حقوق الآخرين ولو كانوا خصوما،فنراه في سيرته الذاتية لا يدّعي البطولة لوحده بل يسرد أسماء كل الذين ناضلوا الى جانبه وقتلوا في سبيل قضيتهم، ولا يتورع عن الإشادة بمن كان لهم فضل كبير في النضال بل ويعتبر إن الكثيرين أفضل منه ولعل أفضل اللحظات نبلاً وإنسانية ووفاء عندما تخبره زوجته ويني خبر وفاة المحامي برام فيشر، فيصفه بكلمات ملؤها الألم والخشوع: (كانت اللحظة الوحيدة المحزنة في تلك الزيارة عندما أخبرتني ويني بوفاة برام فيشر متأثرا بمرض السرطان (.....) كان برام نقي المذهب وقرر بعد محاكمة ريفونيا أن العمل السري هو أفضل وسيلة يخدم بها النضال (.....) لم

يكن برام ليطالب غيره بتضحيات لم يكن هو شخصيا مستعدا لتقديمها (.....) مهما عانيت أنا في سبيل الحرية فقد كنت أستمد قوتي من أنني أناضل الى جانب قومي ومن أجلهم أما برام فقد كان إنسانا حرا حارب قومه لضمان حرية الآخرين)

ولم يكتف مانديلا بذلك بل كان دائم الإيمان والبحث عن الحقيقة حتى لو كانت موجودة لدى خصومه أو حلفائه، فيعترف بها ويؤيدها ويتبناها أحيانا، فنراه يقول عند نجاح إضراب الهنود عام ١٩٦٤: (ما سجله المواطنون الهنود من احتجاج رائع ضد الاضطهاد العنصري أفضل بكثير مما قام به الافريقيون أنفسهم من خلال المؤتمر الوطني الافريقي)

القرار الشجاع ونكران الذات

أكثر ما يميز مانديلا هو ذلك الحس التاريخي المرهف باللحظة التاريخية التي ينبغي فيها على القائد أن يتخذ فيها قراره بتغيير طريقة النضال لإيمانه بأن حرية الشعب معلقة عليه ولأن القائد يستطيع من تجاربه أن يقرأ الواقع بدقه محللاً معطياته، وقارئاً متغيراته ومستشرفا ما يجب أن يكون، وهذا ما نراه في عدة محطات تاريخية هامة ومفصلية في حياة مانديلا وتاريخ جنوب أفريقيا، فعند انتهاء الحرب العالمية الثانية فاز الحزب القومي الأبيض بانتخابات ١٩٤٩ على أساس إقرار قوانين التفرقة العنصرية، وقد حرمت هذه القوانين الزواج المختلط والسكن في أماكن واحدة، وأكدت على فصل كل أنواع الخدمات، حتى إن التصريح بدخول المدن الكبرى لم يكن يتم إلا بتصريح خاص وإذا وجد أسود في الشارع بعد الساعة الخامسة يطلق علية النار فورا في هذه اللحظة التاريخية، لم يعد النضال السلمي مجديا، وأصبح عديم الفاعلية ولابد من اتخاذ قرار جريء بتغيير أسلوب النضال وإتباع أسلوب العنف المسلح، بدل اللا عنف الذي تبناه الزعيم الهندي غاندي في الهند، ولكن المشكلة أن حزب المؤتمر الوطني الافريقي، هو حزب لا يؤمن بالكفاح المسلح، فلابد من تغيير جوهري في الحزب، وهذا ما يقرره مانديلا مع عدد من أصدقائه باتخاذ القرار التاريخي الشجاع بإحداث منظمة إمكا (رمح الأمة) ذلك القرار الذي سيغير تاريخ جنوب أفريقيا بعد نصف قرن من اتخاذه.

واللافت هنا وعي مانديلا الحقيقي للتاريخ والواقع، ورمالهما المتحركة، فهو لا يتعصب لقرار ما أو رأي أو فكرة، فهو يدرك جيدا أ ن لكل مرحلة تاريخية أساليب نضالها المختلفة حيث لايركن لصحة قرار ما اتخذه، بل يبقى يتفحصه ويعيد النظر به ليتأكد من مدى استمرارية صوابه وجدواه، وإذا ما رأى أنه استنفذ الجدوى منه يتخلى عنه دون أسف أو ندم، فبعد خمس وثلاثين عاما من الكفاح المسلح نجده عام ١٩٨٥ في سجن بو للسمور، يعيد النظر في أسلوب الكفاح المسلح قائلا: (حاربنا حكم الأقلية البيضاء ثلاثة أرباع قرن، وخضنا النضال المسلح لأكثر من عقدين من الزمن،أزهقت أرواح كثيرة من الطرفين، وظل العدو محافظاً على قوته وتصميمه (.....) فالحق في صفنا ولكننا لا نملك القوة بعد، وأصبح واضحا في ذهني أن النصر العسكري حلم بعيد إن لم يكن مستحيلا، والواقع أنه لم يعد من الحكمة أو المعقول أن يستمر الطرفان في فقدان آلاف ـــ إن لم نقل ملايين ـــ الأرواح في حرب لا ضرورة لها)

وهنا يتخذ قراره الشجاع الثاني بالحوار مع العدو، لإيمانه العميق بأن ذلك لمصلحة شعبه وبلده متجاوزاً قرار الحزب وأصدقائه لإيمانه العميق بأنّ مصلحة الوطن والشعب أعلى من مصلحة الحزب والعائلة والقبيلة وكثيراً ما وقف مانديلا موقفاً محايداً لغير مصلحة حزبه أو أهله أو رفقاء سجنه فعندما كان في جزيرة روبن حصل صراع سياسي بين سجناء القسم العام ونشبت منازعات بين أعضاء المؤتمر الوطني الافريقي والقومي الافريقي وحركة الوعي بالهوية السوداء وتعرض عدد من أعضاء حزبه للضرب ورفعت دعاوى وطلب منه أن يكون شاهد تزكيه فيما يتعلق في سلوك المتهمين ففضل الوقوف على الحياد من أجل وحدة النضال التي يؤمن بها إذ يقول: (فإذا كنت أدعو الى الوحدة فيجب عليّ أن أتصرف كرجل يؤمن بالوحدة ولو كان ذلك على حساب علاقتي ببعض زملائي من داخل الحزب)

كذلك الأمر عندما يصل الخلاف بينه وبين زوجته الأولى ايفلين الى ذروته، وتخيره بين أسرته ونضاله السياسي فيختار النضال، ليس لأنه يريد أن يضحي بأسرته وأولاده بل لأنه يدرك أن لا معنى لحياته وحياة أولاده في ظل نظام عنصري لا يعترف بأبسط أسس الحياة البشرية،وذلك رغم قساوة هذا القرار على وجدانه وقلبه ومشاعره، كأب إذ نراه يصف الأمر بكلمات تتقطر حزنا وألما: (كان لنهاية زواجي أثر مؤلم خاصة على الأطفال وخلّف في نفوسهم جروحا عميقة (.....) كان موقفا في غاية الألم والقسوة)

ومما لاشك فيه أن هذه المواقف لا يتخذها إلا رجل عشق الحرية، وعرف عذابات شعبه وذاقها وأدرك أن لا معنى للحياة بدون الحرية، لذا كانت معاناته تزداد مع معاناة أهله وأحبائه وفقرهم وعملهم في الأرياف والمناجم وخاصة في مدينة جوهانسبيرغ (إيغولي) مدينة الذهب وسميت بهذا الاسم لأن الصخور التي رصفت شوارعها كانت من منجم (كراون) أغنى منجم على وجه الأرض، ولا يبتعد هذا الوصف عن الحقيقة، فالأحجار الصماء مليئة بشذرات الذهب الذي اكتشف عام ١٨٨٦ عندما(وجد مستكشف استرالي قطعة من الصخر توجد فيها آثار من الذهب وكان شديد الإفلاس لدرجة أنه باع اكتشافه بالمكان الذي وجد فيه هذه الصخرة بعشرة جنيهات استرليني فقط ولم يدر بأنه بهذا الثمن البخس قد باع سلسلة من الصخور تحتوي على أغنى عرق ذهب في العالم).

وخلال شهور قليلة تدفق على المنطقة آلاف الحفارين والأفاقين والقساوسة، كلهم جاؤوا يركبون العربات التي تجرها الخيول ومنها اكتسبوا اسمهم، فكلمة البوير تعني بالهولندية راكبو العربات، هؤلاء الرجال ذوي الفكر العنصري الذي كان ضحيته السكان الأصليين الذين كان مانديلا واحدا منهم، تلك العنصرية الجائرة التي جعلت منه رجلا شرسا في دفاعه عن الحرية منذ ولادته وطفولته وصباه، إذ كان ميالا منذ البدء إلى رفض كل ما يمس حريته بتقييد حتى لو كان من قومه فنراه عندما كان في المكان العظيم مكيكيزويني، واختار له السلطان يونجينتابا زوجة دون رأيه، نراه يهرب تاركا السلطان ومكتسباته وحياته المريحة ولم يكن الأمر برأيي مجرد هروب من الزواج، بقدر ما كان دفاع عن الحرية التي سيسلبها منه هذا الزواج. وكذلك

الأمر في فورت هير ١٩٦٠ عندما قرر مع رفاقه مقاطعة الانتخابات الطلابية ما لم يتم زيادة صلاحيات المجلس الطلابي، فيتم انتخابه للمجلس دون علمه، فيستقيل ثم يتم انتخابه مرة ثانية فيستقيل لوحده هذه المرة، وعندما يواجه الدكتور كير يقول له:(لا أستطيع أن أرضي ضميري بالاحتفاظ بعضوية المجلس الطلابي)

وحول نفس الأمر يكتب: (وجدت من الصعب القبول بفكرة أن أضحي بما أراه التزاما مني نحو الطلاب لمجرد إرضاء مصلحتي الشخصية)هذا الإيثار الذي تميز به مانديلا وهذه الروح المقاومة،التي انتمت إلى مصالح الشعب والمهمشين هي نفسها التي ستبقى معه ويخوض غمار النضال متسلحاً بها لمواجهة خصمه، مترفعاً عن مصالحه الشخصية وذاته في سبيل حرية الآخرين، سنراه داخل السجن صلبا لا يلين، مؤمنا بقوة الخير في البشر، مناوراً السجانين ومحاوراً لهم في آن ولكن دون أن يضحي أو يساوم على مبدأ الحرية.

ولعل قمة إيثاره وتضحيته تتجلى عندما أعلن الرئيس بوتا عن استعداده لإطلاق سراحه من السجن شرط أن يتخلى عن الكفاح المسلح، نجده يرفض ذلك قائلا في الخطاب الذي ألقته نيابة عنه ابنته زندزي،مسجلا بذلك أروع السطور وأجمل آيات النضال التي قيلت في الحرية على مدى تاريخ البشر: (ماذا تعني تلك الحرية التي يعرضونها علي إذا ظل حزب كل الشعب محظورا؟ وماذا تعني تلك الحرية التي سأعيش بمقتضاها مع أسرتي وما تزال زوجتي مبعدة.... وعليه فلن أتعهد بشيء مادمت لا أملك حريتي ومادمتم أنتم يا أبناء هذا الشعب لا تملكون حريتكم، فحريتكم هي حريتي ولا يمكن الفصل بينهما. إنني عائد)وهنا نرى أقصى مراحل نكران الذات التي تميز هذا القائد العظيم، فهو رغم العذاب والسجن والنفي والمعاناة الطويلة يرفض أن يتنازل عن أي جزء من حريته لإيمانه العميق بأن الحرية لا تجزأ.

تفاصيل لا بد منها

يظن المر للوهلة الأولى أن هذا المناضل، لم يكن يشغله سوى النضال والحرية والقضايا الكبرى والعمل المسلح ومعاناة شعبه، ولكن ما يفاجئنا به مانديلا أن تلك القضايا رغم أهميتها لم تكن تشغله عن تفاصيل الحياة اليومية المتعلقة بالأسرة والأهل والأولاد والأم والحبيبة،إذ نراه عاشقاً ممتازاً حيث تزوج ثلاث مرات ونراه أبا حنونا دائم التفكير بأولاده وأمه وأهله وقبيلته ومسقط رأسه، يفكر بهم أثناء النضال وخلال فترة التخفي وخلال سنوات السجن الطويلة، الأمر الذي يكشف عن رحابة روحه التي تتسع للكثير من الحب والأمل والآخرين الذين يفكر بهم دائما، فنراه لحظة خروجه إلى الحرية بعد عشرة آلاف يوم سجن، بدل أن يفكر بحريته، يتألم لأنه لم يستطيع أن يودع حراس السجن، وكذلك عندما يعتقل للمرة الأولى أمام أسرته وأبنائه الصغار لا يفكر بما ينتظره من معاناة وألم وعذاب، بل نراه يتأمل وقع الاعتقال على أرواحهم البريئة ونراه في السجن دائم البحث عن جذور الخير في نفوس السجانين، ومحاولة محاكاة ذلك الجانب الخير وإيقاظه لإيمانه العميق بالأساس الفطري للإنسان، فبعد مغادرة مدير سجن جزيرة روبن بادينهورست، وهو أقسى سجان مرّ على الجزيرة،قال لمانديلا: – أتمنى لكم حظا سعيدا.. كانت كافية هذه العبارة لاستغراب مانديلا ودهشته في آن، إذ يقول: (ذكرني ذلك بأن في أعماق كل إنسان حتى أكثر الناس وحشية وقوة قدراً من الإنسانية، وأنه بإمكان كل إنسان أن يتغير إذا ما لمست جوانب الخير في قلبه ونفسه)ولعل أقسى اللحظات التي عاشها مانديلا على الصعيد الشخصي، كانت عندما تلقى خبر وفاة والدته وابنه وهو في السجن، فنجده في اشد لحظات الحزن والتجلي والتفكير والتأمل، يستعرض الماضي ويقيم حياته متسائلا: (هل كان اختياري وتقديم مصلحة الآخرين على مصلحتي الشخصية ومصلحة أسرتي اختيارا صائبا؟)

ولكن رغم كل المعاناة والألم والأسى لم يكن مانديلا يرضخ للحزن ويأنس إليه، إذ سرعان ماكان يطرده بقوة الأمل والعزيمة على استمرار الحياة وعدم الرضوخ لعدوه، حيث نراه يقدس الفرح والحب والحياة ويحيط اللحظات السعيدة في حياته بكثير من العناية والحب ويتذكرها بشغف حار،إذ يصف لمسه لزوجته داخل السجن بعد واحد وعشرين عاما من السجن:(وفجأة دخلت عليّ ووجدتها بين أحضاني، عانقت زوجتي وقبلتها لأول مرة بعد تلك السنوات الطويلة.إنها اللحظة التي راودتني في الحلم ألف مرة ومرة، وأحسست أني لازلت في حلم. أسلمت نفسي لها ونسيت كل ما حولي، وصمت كل شيء عدا قلبي وقلبها)

ولم يكن اهتمام مانديلا بالحب والحياة عن عبث، بل لأنه كان يدرك تمام الإدراك بأن معركته مع عدوه هي معركة إنسانية وأخلاقية بالدرجة الأولى، لأن عدوه إذ يسلبه حريته فهو يسلبه حبه وزوجته وسعادته وإنسانيته، لذا كان مانديلا مصرا على أن لا يجعل عدوه ينتصر عليه حتى في الحب والإنسانية، وهذا شأن كل المناضلين الكبار الذين نذروا حياتهم من أجل حرية شعوبهم، وما يلفت النظر هنا هو ذلك التشابه إلى حد ما بين معاناة ونضال هؤلاء الأحرار على الأقل من ناحية السجن والعذاب والتشرد والتضحية التي تصل حد الشهادة من أجل أن تحيا أوطانهم حرة كريمة، مع اختلاف في أساليب النضال المتبعة بين مناضل وآخر تبعا للظروف الخاصة بكل بلد، ورغم ذلك نجد تشابها بين نلسون مانديلا وتشي غيفارا في التضحية إذ تخلى كل منهما عن بحبوحة الحياة الخاصة من أجل قضايا أمنوا بها بكل جوارحهم،إذ كان غيفارا طبيبا من عائلة برجوازية، وكان لمانديلا موقعه في قبيلة الكوسا الذي يؤهله ليعمل مستشارا لولي العهد، وكان كل منهما عاشقا من الطراز الرفيع، كذلك الأمر من حيث اعتماد الكفاح المسلح أسلوبا لمقاومة الظلم والطغيان،رغم أن مانديلا كان في البداية متماهيا مع أسلوب اللا عنف الذي اتخذه غاندي في الهند أسلوبا لنضاله ولكن غاندي يتشابه مع مانديلا في السمو الروحي والأخلاقي الذي كان سمة نضالهما من أجل الحرية، وتمثل ذلك في الإيمان العميق بجوهر الخير في الإنسان، والنظرة الإنسانية لا العدوانية للخصم، والإيمان بالحب كقيمة مشتركة وعليا للبشر والعمل على توحيد نضال الجميع بما يخدم الجميع، ونراه يتشابه مع فيدل كاسترو في وصول كل منهما إلى سدة الرئاسة، بعد محاكمات وسجن ونفي ونضال مرير، رغم أن كاسترو سيبقى في الرئاسة، بينما مانديلا سيعزف عنها بعد أن حاول جهده في فترة رئاسته ليرسي أسس الوحدة الوطنية، ويزلل الخلافات ويضع وطنه على سكة الحرية، ثم يستقيل ليتفرغ لحياته الطبيعية كإنسان عادي لا كأسطورة، فنراه يجيب بعد أن سئل عما سيفعله بعد تقاعده:

(سأفعل كل الأشياء التي فاتتني: أن أكون مع أولادي وأحفادي وعائلتي وأجلس وأقرأ ما أود قراءته، إن قضاء سبعة وعشرين عام في السجن هو مأساة إلا أن إحدى فوائده كانت إمكانية الجلوس والتفكير وهذا احد الأمور التي أفتقدها كثيرا).

إســم العــــراق
أصــلــه ومــعــنــاه عــبــر الــعــصــور الــتــاريــخــيــة

متى نشأ اسم العراق؟ وما معناه؟ وكيف ساد؟، اسئلة عديدة شغلت الكتاب والمؤرخين والبلدانيين منذ قرون، فتعددت الروايات وتنوعت، غير ان المكتشفات الاثرية وتقدم علوم الاثار والتنقيب، اسهم في اثراء الموضوع واحيائه في القرن التاسع عشر وما تلاه. لقد كانت المكتشفات الاثارية التي قامت بها البعثات التنقيبية في مواطن الحضارات القديمة في العراق والمنطقة المحيطة به، وما اسفرت الدراسات الجادة والرصينة لمعرفة اسرار الكتابات القديمة وفك رموزها، ان امدت الباحثين بمعطيات تاريخية جديدة، كان لها الدور الكبير في تغيير العديد من الاراء والنظرات.. والافكار.

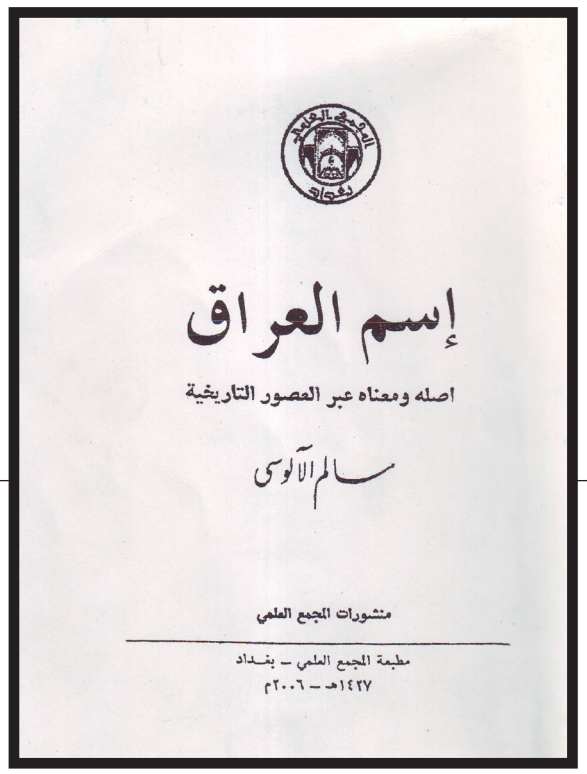

تاليف: سالم الالوسي
عرض: رفعة عبد الرزاق محمد

انتقلت الدراسات التاريخية والتأصيلية في العقود التالية للمكتشفات الاثارية، لدى المؤرخين والكتاب العرب المعاصرين من الاعتماد على المصادر والمراجع العربية والاسلامية التقليدية (كتب الادب والتاريخ والمعاجم اللغوية و البلدانية)، الى البحث عن النصوص القديمة العائدة لفترات تاريخية موغلة في القدم، وقد اثمرت هذه البحوث عن اكتشافات مذهلة غير معروفة، ومن هذه المكتشفات الاسماء الجغرافية. ومنها البحث عن اصول اسم العراق، مهد الحضارات القديمة.

عني الاستاذ سالم الالوسي، المؤرخ والاثاري العراقي، بهذا الامر، واصدر عددا من البحوث القيمة الجديرة بالتنويه والتقدير، ومنها كتابه الموسوم (اسم العراق، اصله ومعناه عبر العصور التاريخية) الصادر عن المجمع العلمي العراقي. ويذكر المؤلف الفاضل، انه منذ اواسط الاربعينات، ومن خلال عملي موظفا بمديرية الاثار القديمة العامة، ومرافقتي العديد من الوفود والزائرين من العراقيين والعرب والاجانب الى المتاحف العراقية ومواقع الاثار خارج بغداد، كانت الاسئلة والاستفسارات تتوالى منهم عن شؤون العراق واثاره، كان في مقدمتها عن اصل العراق ومتى ظهر؟... وقد استمرت الحال على هذا المنوال حتى اواسط الخمسينات يم اصدر استاذنا العلامة السيد طه باقر كتابه (مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة) بجزأيه، وكان لي شرف الاشراف على طبعه، وفيهما شذرات مهمة عن العراق وبلاد الرافدين استفدت منها كثيرا.

وفي مطلع الستينات، كنا . العلامة الدكتور مصطفى جواد وكاتب هذا البحث ومشاركة عدد من رجال العلم والثقافة . نقدم من محطة تلفزيون بغداد برنامجا ثقافيا علميا بعنوان (الندوة الثقافية) استمر قرابة عشر سنوات ١٩٦٢.١٩٧٢، وكان جانب من هذا البرنامج مخصصا باجابة المشاهدين عن سؤالاتهم واستفساراتهم وكان لاسم (العراق) واثار العراق السهم الاوفر فيه. وعلى مدى هذه السنوات العشر، وما قبلها وما بعدها، تجمعت لدينا معلومات ومصادر ومراجع مفيدة، اجنبية وعربية، عن الموضوع، فكنا نستعين بمراجعتها كلما قامت الحاجة واستجد طلب... وللحقيقة نقول: ان مسئلة اسم العراق ومعناه لم تهمل، فقد سبق ان تناولها و بحثها خلال النصف الثاني من القرن العشرين الماضي، امثال الاساتذة: طه باقر وكوركيس عواد وبشير فرنسيس وفؤاد جميل والدكتور محمود حسين الامين والدكتور عامر سليمان...

حاول الاستاذ سالم الالوسي تقديم عرض تفصيلي لجهود البحث عن اسم العراق ومعناه قديما وحديثا. وقد اعتمد الكتاب على ترتيب تاريخي لهذه الجهود، او ما يسمى بالتصنيف الكرونولوجي، مع المصطلحات الواردة في الكتب الادبية والتاريخية والبلدانية والاثارية مثل: العراق وارض السواد والعراقان وارض ما بين النهرين وبلاد الرافدين وسومر واكد وبابل واشور وشنعار وبلاد كلدة وسواها.

تناول الفصل الاول اسم العراق في الشعر العربي، ويذكر الباحث انه في اواخر العهد الساساني الذي سبق العهد الاسلامي ظهر مصطلح العراق لاول مرة في الشعر العربي، ومنه ما قاله المتلمس الضبعي (ت ٥٨٠ م):

ان العراق واهله كانوا الهوى
فاذا نأى بي ودهم فليبعد

ويسوق الكتاب امثلة اخرى لشعراء آخرين مثل المنخل اليشكري والمسيب بن علس واعشى قيس وعنترة العبسي والنابغة الذبياني والفرزدق والمتنبي. غير ان اقدم الاسماء العربية التي اطلقت على العراق كان ارض السواد، وقد ورد في كتب الفتوحات الاسلامية والادبية. وكثيرا مايرد اسم العراقين، وقد ظهر هذا الاسم في العهد الاموي، ويقصد به البصرة والكوفة.

وفي الفصل الثاني استعرض الكاتب ما جاء عن اسم العراق ومعناه في معاجم اللغة وكتب الادب والبلدان، واقدمها معجم العين للخليل بن احمد الفراهيدي (ت ١٧٠ هـج) قال: العراق، شاطيء البحر، وسمي عراقا لانه على شاطيء دجلة والفرات مدا حتى يتصل بالبحر على طوله، واهل الحجاز يسمون ماكان قريبا من البحر عراقا. بينما تناول الفصل الثالث اسم العراق في المدونات الكلاسيكية، فظهر مصطلح (ميزوبوتاميا) في زمن يقع بين القرنين الرابع والثاني قبل الميلاد عند الرومان واليونان، ويعني (مابين النهرين)، وهو شبيه بما استخدمه العرب في العصور الحديثة، حيث استخدموا مصطلح (وادي الرافدين). لقد ظهر هذا المصطلح في عهد الاسكندر المقدوني.

تحدث الباحث الالوسي في الفصل الرابع من كتابه عن اسم العراق في كتابات المؤرخين والباحثين العراقيين والاجانب المعاصرين وآرائهم، فقسم منهم اقتبس اقوال القدامى من اللغويين والبلدانيين، وقسم تصدى للموضوع وعالجه باسلوب حديث استنادا الى نتائج البحوث والمكتشفات الاثرية. والفريق الثالث اقتحم الميدان في القرن المنصرم، وهو مسلح بمعرفة تاريخية واثارية فائقة، وحاصل على شهادات علمية متخصصة بعلوم الاثار والتنقيب والتاريخ القديم. غير ان الفصل الخامس عرض الكتاب الى نتائج الدراسات التي توصل اليها عالما الاثار العراقيين طه باقر ومحمود الامين. وكان يمكن ان يضم المؤلف الفاضل هذا الفصل الى الفصل السابق.

يرى العلامة الدكتور طه باقر ان لفظ العراق يرجع في اصله الى تراث لغوي قديم اما من السومريين او من قوم آخرين من غير السومريين كالساميين الذين استوطنوا السهل الرسوبي منذ ابعد عصور ما قبل التريخ. وان لفظ العراق مشتق من كلمة تعني المستوطن ولفظها (اوروك) او (اونوك)، وهي الكلمة التي سميت بها المدينة السومرية الوركاء. ويرى المؤرخ (اولمستيد) ان اول استعمال لكلمة العراق ورد في العهد الكشي في منتصف الالف الثاني قبل الميلاد،اذ ورد اسم على هيئة (اريقا) فصار الاصل لبلاد بابل او لكلمة العراق.

وكان ايضا من الافضل ان يكون الفصل السادس والفصل السابع في فصل واحد، وهما يبحثان اسماء العراق الاخرى في العصور القديمة على ضوء التنقيبات الآثارية، ووحدة بلاد سومر واكد في الشرائع العراقية القديمة. ويستعرض فيهما الباحث الفاضل الاسماء التي اطلقت على بلاد العراق في العصور السابقة للاسلام، استنادا الى نتائج التنقيبات الاثارية منذ منتصف القرن التاسع عشر حتى الوقت الحاضر. ومن هذه الاسماء بلاد سومر ويقصد به القسم الجنوبي من السهل الرسوبي من العراق، وبلاد اكد الذي ظهر اصطلاحه في اواسط الالف الثالث قبل الميلاد ليدل على القسم الواقع شمالي بلاد سومر، وهو القسم الذي نشأت عليه الدولة الاكدية في بداية امرها. ومن اعظم ملوك الاكديين (سرجون الاكدي) الذي جمع المدن في مملكة موحدة في حدود ٢٣٥٠ قبل الميلاد، مكونا اول امبراطورية في التاريخ. واستمر الامر لدى حفيده (نرام سن)، واعقبه عهد من الفوضى شهد عدد من الغزوات الاجنبية، حتى ثار الامير السومري (اوتو حيكال) في مدينة الوركاء واسس دولة (بلاد سومر واكد). وشاع منذ مطلع الالف الثاني قبل الميلاد مصطلح (بلاد بابل) للدلالة علة وحدة بلاد سومر واكد، وغلبت التسمية على الاقسام الوسطى والجنوبية من العراق بشكل عام، ويعد الملك العظيم حمورابي اشهر ملوك هذا العهد، كما اطلق اسم بلاد اشور نسبة الى اقدم العواصم الاشورية وهي آشور (اطلال مدينة الشرقاط الحالية)، فضلا عن تسمية (بلاد كلديا) او ارض الكلدانيين الذين نزحوا من الجزيرة العربية واستقروا في وسط العراق، واقاموا مملكة عرفت ببابل الجديدة، واشهر ملوكها الملك نبوخذ نصر الذي وحد مدن العراق في مملكته.

ويخلص الاستاذ سالم الالوسي الى ان المرجح في الدراسات والمنقولات والاكتشافات حول اسم العراق، انه يعود الى تراث لغوي عراقي موغل في القدم، اعتمادا على النصوص والمدونات المكتشفة، وفي مقدمتها الكتابات المسمارية، وان كلمة العراق تعني المستوطن ولفظها اوروك او قريب من ذلك. والحق الالوسي كتابه بجداول للعصور التاريخية في العراق القديم واسماء اهم مدن العراق القديم واسمائها في الوقت الحاضر، وموجز سيرة العلماء والمؤرخين والاثاريين المعاصرين ممن له رأي في اصل اسم العراق ومعناه.

مدن العالم القديم (الكلاسيكي)

دراسة لمدن الماضي القديمة عبرة لليوم

لكولن مكيفدي

ترجمة: هنادي نجم

ما الذي يكوّن المدينة؟ مجموعة بسيطة من الناس، أم معبدٌ عظيم، أم مركزُ تعليم أو تجارة أو نقل؟ يقترح كتاب كولن مكيفدي، الغرِّيب من نوعه، بعض الأجوبة لهذه الأسئلة بشكل شبه عفوي، وذلك من خلال استعراض ١٢٠ مركزًا من مراكز الحضارة القديمة، مقدماً بذلك الكثير عن الحياة المتحضرة الحديثة بقدر ما يقدمه عن الماضي البعيد.

يشكّل هذا الكتاب كتالوجاً غير مكتمل لكل مدينة ذات أهمية في العالم الروماني والميسوبوتيمي، ويأخذنا في جولة في العواصم المتلألئة من لنكن إلى ليون وإلى الاسكندرية. إن شخصية مؤلف الكاتب مثيرة للاهتمام، فهو، بالإضافة إلى كونه طبيباً نفسياً في مستشفى إيلنج، كان مؤرخاً وعالم آثار، كما ولم يكن قد أكمل إنجازه الأعظم المنتظر عندما توفي عام ٢٠٠٥. يمثّل هذا الكتاب جهود عائلته وناشريه الذين جمعوا ما كُتب منه وما رُسم منه أيضاً، لأن الخرائط في الكتاب تشكّل جزءاً مهماً من هذا المشروع وتساهم في تقديم الكتاب بالصورة التي أرادها الكاتب. وكانت النتيجة أن جاء هذا الكتاب كموسوعة أصيلة تخبرنا مع كل عنوان جديد شيئاً عن التاريخ وعن سطح الأرض وعن حجم كل مدينة يتناولها.

يظهر هوس مكيفدي واضحاً خلال الكتاب حين يتنافس مع باحثين آخرين في تخمين أعداد السكان، وكانت له في كل ذلك لمسة خفيفة وأسلوب مقروء ومفهوم دائماً. وقد جعل خرائط المدن التي تصاحب المواضيع عنها بمقياس رسم واحد مما يجعل أمر المقارنة ما بين حجم كل مدينة وأخرى سهلاً، كما هو الحال، على سبيل المثال، في المقارنة بين حجم الإسكندرية التي كانت تضم أسوارها مساحة تزيد على ألف هكتار، وحجم ضآلة بومبي بمساحة خمسة وستين هكتاراً. م هذا نقول بالرغم من أن هذه الخرائط قد رُسمت بطريقة جيّدة، فإنها قد تذكّرنا بالرسوم البيانية في كتب الجغرافية، وربما يتخلى الكاتب في هذا عن فرصة تنفيذ شيء أجمل من ذلك.

يتعامل الكاتب مع قصص بروز ورقي كل مدينة وسقوطها كأمر واقع. وتعلقا بذلك فإن بعض هذه المدن يحاول النهوض مرة ثانية في وقتنا الحاضر بينما يختفي البعض الآخر بدون أي أثر يُذكر. فأنت تكاد تسمع الرمال وهي تكتسح الميادين المهجورة حيث يشير مكيفدي إلى النقص في الدفاعات الكافية وإلى المرافئ المطمورة قبل الانتقال إلى المدينة التالية. وكان السبب الرئيس لسقوط مثل هذه المستوطنات هو تدهور حالة رخائها وازدهارها وانظمتها السياسية الفعالة في ظل تراجع الرومان. وكان هذا بالنسبة لمعظم البلدات الشمالية التي أسسوها أو كانوا سبباً في ازدهارها. أما في الشرق، فكان الصراع على الحكم بين السلالات الحاكمة عاملاً في التدهور الحضاري. فانهارت ممفيس أمام الإسكندرية عندما ثبّت اليونانيون حكمهم في مصر، وفعلت بابل الشيء نفسه مع سلوقية على نهر دجلة عندما مرّت بنفس الظروف، أما البارثيون فقد تخلّوا عن سلوقية لأنهم فضلوا المدائن.

كانت باريس ولندن وحتى القدس آنذاك مدناً فقيرة وآيلة للسقوط. أما قرطاج وأفسس وأنطاكية فكانت جواهر العصر فجذبت الناس عبر البحر الأبيض المتوسط ليغنوا أنفسهم ويشيدون عمراناً عظيماً. ولكن هذه المدن لم تنجُ من غربلة التاريخ (بالرغم من أن أنطاكية هي الآن مدينة تركية متوسطة الحجم). أما المدن التي نجت إلى وقتنا الحاضر فلها وجهٌ مختلف اليوم.

إن معظم المدن التي يذكرها مكيفدي في كتابه يقارب عدد سكانها العشرة آلاف نسمة. وربما يصل عدد سكان المدن القديمة لروما والإسكندرية ٢٥٠،٠٠٠ نسمة والذي هو عدد سكان مدينة وولفرهامبتون الآن. وفي القرن الحادي عشر، يتضاعف عدد سكان لندن فيصل الثمانية ملايين نسمة ولكنه أقل من شنغهاي بعشرة ملايين نسمة.

والآن هل هناك أي منطق يحكم الطريقة التي تكوّن حشود الناس هذه مدناً؟ ما هي العلاقة بين سلوقية ولوس أنجلس مثلاً؟ إن هناك مفارقة عندما يبيّن لنا مكيفدي أنه من الخطأ التعلق بسكّان المدن، ولكنه نفسه متعلق بهذا الأمر؟. إن الأماكن التي يتعامل معها صغيرة جداً وفق المقاييس الحديثة، ولكنها تبدو كبيرة في الخيال، فيشير إلى أن فكرة المدينة قد تكون أهم من خصائصها المادية. وهناك خلف الزهو المدني الذي نراه واضحاً في الحجر أو الفولاذ أو الزجاج، يوجد جوهر المدينة في علاقتها بالمناطق النائية والمدن الأخرى. إن شانغهاي بالنسبة لقرية صينية هي كما كانت روما بالنسبة لمزارع إتروسكاني، حيث تكون هذه المدن مراكز للثراء والقوة والعمران. فستنافس شانغهاي فيما بعد طوكيو وساو باولو، وهي المقرات الرئيسة للمؤسسات العالمية ولعجائب أخرى، على جوائز مختلفة كما في الأولمبياد، كما فعل نظراء سكانها القدماء.

وهناك درس آخر بالطبع في عمل مكيفدي، وهو أن للمدن عُمراً، والقليل فقط من هذه المدن ينجو من غربلة التاريخ. ففي العالم القديم، صمدت هذه المدن ربما لألف سنة ثم غدت حطاماً. فكم ستصمد مدننا؟

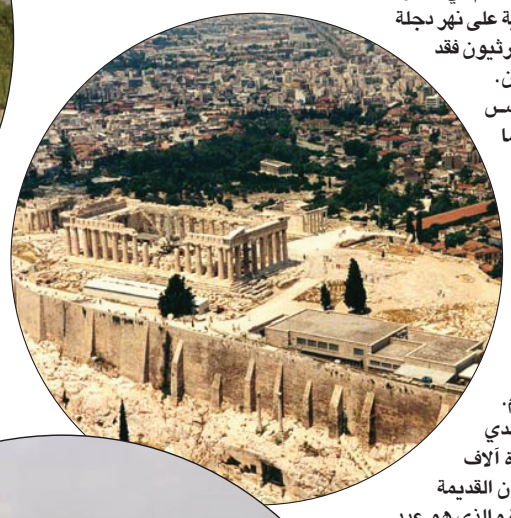

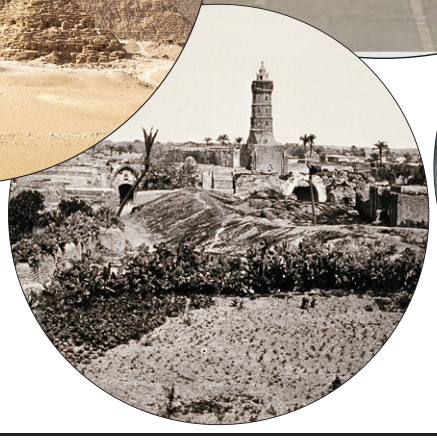

سكورسيزي يتحدث عن نفسه

هذا كتاب ساحر جديد، يتناول المقابلات التي أجريت مع المخرج الأميركي العالمي مارتن سكورسيزي: سلسلة من المقابلات التي أجراها ويسلون عن أفلامه من عام ١٩٧٤ وحتى اليوم. وويلسون الذي شارك في كتابه نص الفيلم الوثائقي "رحلة مع مارتن سكورسيزي عن الفيلم الأميركي" يشارك معه مجددا في فيلم بعنوان "السينما البريطانية".

والكتاب مزيّن بمجموعة جميلة من الصور العائلية والخاصة، حيث العديد منها تقدم المخرج العالمي في شبابه ومع أصدقائه في إيطاليا ثم في نيويورك حيث نشأ، وهو لا يعلم إن كان سيصبح راهبا في المستقبل أم رجل عصابات، إضافة إلى صور عن أفلامه المختلفة.

لقد انضم مارتن سكورسيزي إلى عالم السينما قبل ٣٥ عاما، وهو القائل "إن الفيلم مرض، أو إدمان لا يمكن التخلص منه".

ويتساءل قائلا: "هل تعلم ماذا قال لي فيلليني عندما كنت على أبواب الموت، وكان لابد من ذهابي المستشفى؟ قال: "واصل عملك كن مجنونا، اعمل حتى يقتلك العمل".

وعلى الرغم من أن سكورسيزي قد تخلى نوعا ما عن الفكرة الرومانسية "اعمل حتى تموت"، فإنه ما يزال يتحدث باهتياج عن السينما وعمله وفيلمه القادم، وكأنه ما يزال شاباً، لما قابلته عام ١٩٧٤، واخذ يحدثني عن "الشوارع الوضيعة".

ويضم الكتاب الجديد هذا آراء سكورسيزي عن عدد من الأسماء وخاصة روبرت دي نيرو، الذي عمل في العديد من الأفلام التي حققت نجاحات كبيرة.

ومن المقاطع التي وردت في الكتاب:

سكورسيزي عن دي نيرو في (سائق التاكسي)

لقد فهم (بوبي) أبعاد الشخصية. كان اسمه في الفيلم (ترافيس)، وما أن يقف أمام ديكور مشهد ما، حتى يتحول في الحال إلى ترافيس.

لقد كانت ثقتي به كاملة، ويعود الأمر إلى تعاوننا في العمل بفيلم (الشوارع الوضيعة).

نحن نفكر بنفس الطريقة تقريباً ويفهم واحدنا الآخر تماماً، التفاهم بيننا يتم أحيانا بالإشارات، وكأنها لغة – نفهمها. لقد نجح في (سائق التاكسي) في السيطرة على الجمهور ونيل تعاطفه. فشكراً له.

– كيف يستعد دي نيرو للدور؟

– كمثال، أقول انه قاد سيارة أجرة قبل الفيلم لأسبوعين. كان قد فاز مؤخراً بالأوسكار (أفضل ممثل مساعد) عن "الأب الروحي – ٢". وفي يوم ما، أوقف سيارة الأجرة احد الممثلين وتعرف على دي نيرو وصاح به "هل أنت مضطر لهذا العمل؟ ألم يفدك الأوسكار؟!". صدقني، كل من يقود سيارة أجرة في نيويورك، بعد منتصف الليل، سيتحول إلى ترافيس".

– الشكوك الأولى لسكورسيزي عن إخراج "الثور الهائج!"

قال لي بول شريدر مرة: "لقد نجحت في "الشوارع الوضعية" اعملها من جديد، ولكن تعامل مع شخصيتين أو ثلاث، لن تستطيع السيطرة على أربع. لم أكن أريد إخراج ذلك الفيلم. كنت في حالة صحية صعبة، وأمضيت أربعة أيام في المستشفى ما بين الحياة والموت.

كنت محظوظاً واستعدت العافية. جاءني دي نيرو وبدأنا نتحدث من القلب للقلب. مضينا نتحدث عن أنفسنا وسألني دي نيرو عن الفيلم وقررت الموافقة عليه. سافرنا إلى جزيرة سانت مارتن، حيث لا سينما ولا تلفزيون، وكتبا ١٠٠ صفحة في عشرة أيام.

عن: الغارديان

الكتاب: "سكور سيزي عن سكورسيزي"
كتابة: مايكل هنري ويلسون
ترجمة: أبتسام عبد الله

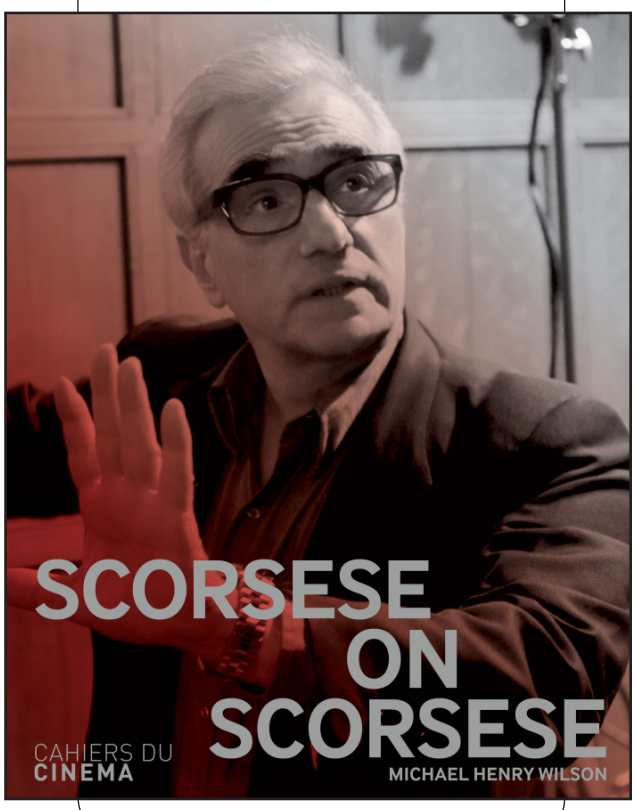

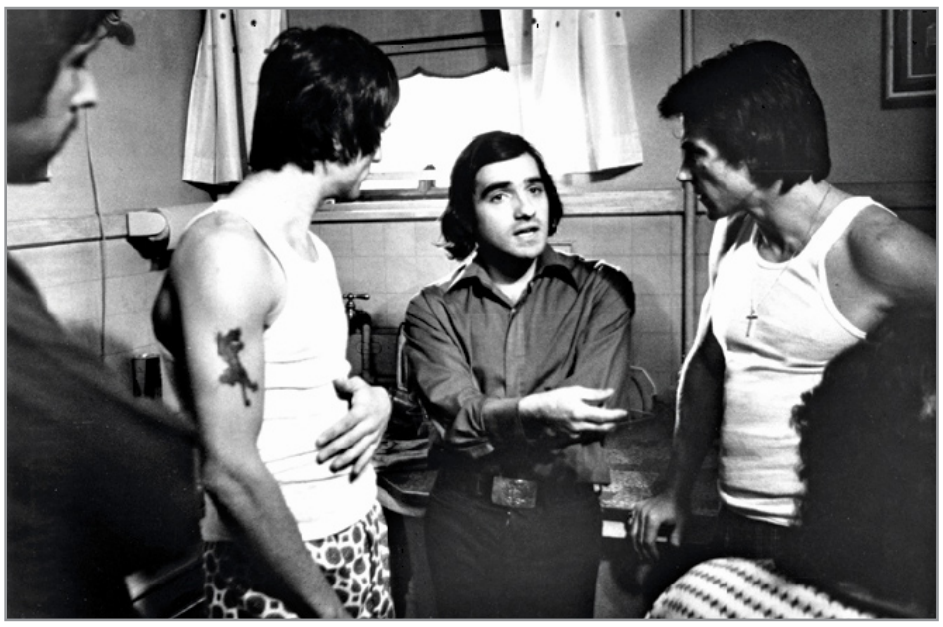

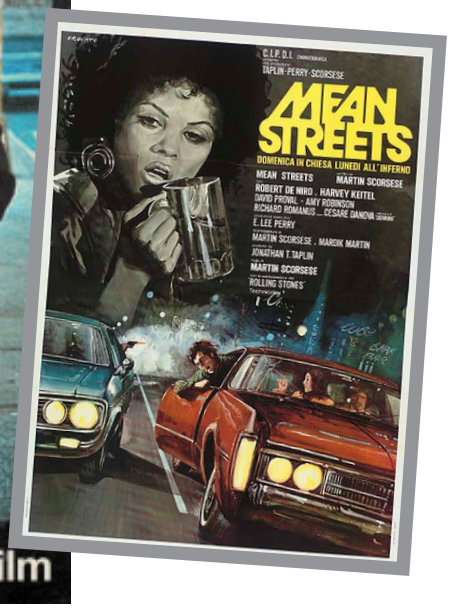

النفس الوعظي في قصص كلاويز

صدر عن دار "المدى" بدمشق كتاب جديد يحمل عنوان "ثلاث قصص للفتيان" للقاصة والروائية الكردية كلاويز صالح فتّاح ترجمة الشاعر والباحث الكردي جلال زنكابادي. وعلى الرغم من أنّ هذه القصص مخصصة للفتيان أصلاً، إلاّ أنّ هذا التخصيص لا يمنع الكبار من قراءتها والاستمتاع بمضامينها الفكريّة والفنيّة على حد سواء.

لا شكّ في أنّ النبرة الوعظية ستعلو في القصص الثلاث التي وردت حسب التسلسل التالي "قصة لولو"، " مستان وسابيه في الليلة القمراء" و "سبعة أبطال أصدقاء"، ذلك لأن القصص المكتوبة للفتيان لابد أن تكون إرشادية بشكل من الأشكال، ولابد أن يكون البطل أنموذجاً يُقتدى به.

لندن / عدنان حسين أحمد

ولو تفحصنا القصص الثلاث لوجدنا أبطالها جميعاً نماذج طيبة في السلوك من جهة، وفي التفرّد الثقافي والاجتماعي والأخلاقي من جهة ثانية. ويمكن الإشارة في هذا الصدد إلى الشخصيات الأيقونيّة مثل "تريفه"، "وريا"، "مستان" الذين تحولوا بفعل سلوكهم الذي يمثل انعكاساً حقيقياً لثقافتهم العميقة، ولرؤيتهم الإنسانية الثاقبة، تحولوا إلى نماذج أصيلة يتوق الآخرون لتقليدهم أو الاقتداء بهم دائماً.

قصة لولو

على الرغم من أنّ القاصة كلاويز قد عوّمت المكان في هذه القصة ولم تحدّده بالضبط، إلاّ أننا نعرف من الجملة الاستهلالية بأن أحداث القصة ستدور في مدينة كركوك أو في حيّ من أحيائها الذي فلتَ من التسمية أو نجا من التشخيص الذي أفادَ القصة في خروجها من الإطار الخاص الضيّق إلى المناخ العام الرحب. تبدأ القصة فعلياً حينما خرج ذات يوم "وريا" وشقيقته "تريفه" من منزلهما لزيارة قريبة مريضة لهما نيابة عن أمهما "فاطمة" المتوعكة الصحة هي الأخرى. لابد من الإشارة إلى أنّ "وريا" عمره خمس عشرة سنة، وأنّ "تريفه" عمرها أربع عشرة سنة. وفي الطريق إلى منزل قريبتهما المريضة تناهت إلى سمعهما أصوات ضاجّة مقهقهة،وحينما اقتربا من مصدر الضجيج وجدا مجموعة من الفتيان الصغار ينخسون قطة صغيرة بالعصي والعيدان المدبّبة فيما كانت هي تتلوى وتموء من شدة الألم. تدخل "وريا" و "تريفه" في الحال وأنقذا القطة المسكينة من أيدي الأطفال المشاكسين الذين تحجّرت قلوبهم. وفي هذه اللحظة ينفتح أحد الأبواب ويخرج منه رجل مهندم يتعرّف على وريا في الحال، ويعرف منه حكاية القطة المسكينة التي أوسعها الفتيان المتشيطنون وخزاً وضرباً. تميّز الدكتور حسن غيظاً حينما رأى القطة الصغيرة مدماة ولاذت بحجر كبير قرب "وريا"، وكاد أن يخرج عن طوره، لكنه ضبط أعصابه، واكتفى بالقول بأن الناس المتخلّفين الجهلة هم الذين يعاملون الحيوانات بهذه الطريقة الفظة القاسية. ثم راح يسرد للأخوين وريا وتريفه الطريقة المثلى التي يعامل بها الأوروبيون المتحضرون حيواناتهم الأليفة مثل القطط والكلاب والطيور وكيف يوزعون الإعلانات في كل مكان إذا فقد أحد هذه الحيوانات أو ضلّ الطريق. يذهَب "وريا" بصحبة القطة المُدماة إلى عيادة الدكتور حسن الذي اتصل هاتفياً بصديقه سرْكو، الطبيب البيطري الذي بدأ بمعالجة القطة، وتعقيم جراحها، وزرقها بإبرة مهدّئة. عاد وريا إلى البيت وهو يخشى من رفض والديه لوجود هذه القطة الصغيرة في المنزل، لكنه فوجئ بتعاطف جميع أفراد الأسرة معه. ولكي لا تأخذ منا التفاصيل جزءاً كبيراً من هذا المقال لابد أن نشير إلى أن الفاعلين الأساسيين في هذه الجريمة وهما نوروز وكمال قد شعرا بالذنب وتأنيب الضمير كثيراً، وقررا أن يربي كل منهما حيواناً داجناً، بل ذهبا إلى أبعد من ذلك حينما ساهما مع بقية الأصدقاء والصديقات في تأسيس "جمعية للدفاع عن الحيوان". إن هذا الانقلاب السلوكي من الجانب السلبي إلى الجانب الإيجابي هو الهدف الأساسي الذي كانت تسعى إليه القاصة كلاويز وتبذل قصارى جهدها لترسيخه في أذهان الفتيان وقلوبهم وضمائرهم. كما أن القصة نفسها تكشف عن الطريقة المثلى التي يتعامل بها الأوروبيون أو الناس المتحضرون في مختلف أرجاء العالم مع الحيوانات الأليفة وغير الأليفة على حد سواء.

مستان وسابيه في الليلة القمراء

تمهّد كلاويز في قصة "مستان.." للقارئ بالكثير من المعلومات عن كردستان الكبرى التي تجزأت قبل عشرات السنين وتوزعت بين العراق وتركيا وإيران "لم تشر القاصة إلى سوريا"، ولكن هذه الحدود المصطنعة بين كردستان الأم في طريقها إلى الزوال الحتمي في السنوات القليلة القادمة. إذا كان المكان كركوك في القصة السابقة، فإن القاصة كلاويز ارتأت أن يكون مسرح الأحداث في هذه القصة الرمزية مرتفعات "باديناں" وهي المنطقة التي تشمل في العادة دهوك والعمادية وسرسنك وزاخو. اختارت كلاويز في هذه القصة شخصية "مستان"، وأسندت إليها دور البطولة الكاملة. وسنعرف أنها امرأة ذكية وشجاعة تنتمي إلى إحدى القبائل الكردية الرحّل التي تعيش في المناطق المرتفعة النائية. ومن صفاتها الأخرى أنها حسناء، خفيفة الظل، تقودها دائماً نقطة الضوء المشعّة في ذهنها المتوقد أبداً. إنّ أجمل ما في هذه القصة هو بناؤها المعماري القائم على مستويين: الأول هو مجموعة النساء الصديقات اللواتي يذهبن إلى النبع للاغتسال وجلب الماء الصالح للشرب، والثاني هو الدُبّة التي تتنصت على حكايات النسوة، وأسرارهن الشخصية، ومواعيدهن القادمة. حينما تعرف الدبّة بأن مستان تذكّر بقية النسوة بالذهاب إلى النهير في فجر اليوم بهدف الاستحمام تخبر شقيقها الدب بالأمر، لكنه لا يجازف بحياته فهو يخشى من الإنسان لأنه قد يستعمل الرصاص ويرديه قتيلاً في الحال. تتقمّص الدُبّة شخصية "سابيه"، وتلّف نفسها بقطعة قماش، وتذهب في حدود الثانية عشرة ليلاً إلى "مستان" وتنجح في استدراجها إلى النهير، لكن "مستان" اكتشفت الخدعة وهي في منتصف الطريق، وليس بإمكانها العودة، لذلك قررت المضي في المجازفة حتى نهايتها، وبدأت تغسل الدُبّة، لكنها كانت تفكر بحرقها بالماء المغلي، فيما كانت الدُبّة تفكر بالتهام "مستان" بعد الانتهاء من عملية الغسل التي استغرقت وقتاً طويلاً. في هذه الأثناء تتراجع "مستان" عن فكرة صبّ الماء الساخن على الدُبّة، كما تتراجع الدُبّة عن فكرة التهام "مستان"، بل تقرر أن تصاحبها، وتتخذ منها صديقة عزيزة. هكذا إذاً تتخلى "مستان" عن خواطرها الشرّيرة، كما تتخلى الدُبّة عن نزعتها الحيوانية الشرسة. تقرر "مستان" أن تجلب الطعام كل يوم وتضعه أمام الكهف لأنها تعتقد أن الحيوانات الشرسة يمكن أن تُدجّن إذا ما توفر لها الطعام وتصبح حيوانات أليفة شأنها شأن القطط والكلاب وبقية الحيولنات الأليفة المدجنة. تحيط "مستان" زوجها "محو" علماً بالأمر فيخبر أهالي القرية فيقرر شيوخها ووجهاؤها تعيينها عمدة للقرية لشجاعتها، ولرجاحة عقلها، وحكمتها التي لا تخفى على أحد.

أمّا القصة الثالثة والأخيرة فتتمحور حول سبعة شبّان تتراوح أعمارهم بين الرابعة عشر والخامسة عشر وهم "آسو، بختيار، كاوا، آلان، بروسك، ريبوار وهيوا". يقوم هؤلاء الفتيان مع عوائلهم بسفرة إلى "بيرة مكرون وميركة بان" وقضاء بضعة أيام هناك. بعد تناول الغداء يقرر الشبان السبعة تسلّق الجبل بغية الوصول إلى الحُفر الثلجية، لكنهم يضلون الطريق، ويتيهون لبضع ساعات حيث يقلق الأهل، ويتشاجر الأزواج مع زوجاتهم، وفي خاتمة المطاف ينزل الشبان السبعة باتجاه الآباء الذين كانوا يبحثون عن أبنائهم في اتجاهين مختلفين. يصل الشبان السبعة الذين كانوا يستعينون بمصباح هيوا اليدوي والآباء بفانوسهم الإنكليزي في منطقة وسطى بعد منتصف الليل، ثم يتعانقون، ويتجاوزوا الأزمة التي مرّت بها العوائل السبعة، ويقرروا في خاتمة المطاف البقاء ليوم آخر لإقامة حفلة خاصة لمناسبة سلامة الأولاد. ربما تكون العبرة الأساسية في هذه القصة هي عدم تقليد الأفلام التي تنطوي على الكثير من الحيل والخدع السينمائية. كما تدعو الشباب إلى عدم التهوّر والقيام بمجازفات لا تُحمد عقباها، الأمر الذي يتسبب في إقلاق الأهل، وإرباكهم، وإفساد المتع التي جاؤوا من أجل تحقيقها.

وفي الختام لابد من الإشارة إلى أن النَفَس الوعظي أو الإرشادي مهيمن ليس على هذه القصص الثلاث حسب، وإنما على غالبية أعمال كلاويز القصصية والروائية مثل "الأم والابن"، "الخادمة" و "العالم غابة" وغيرها من القصص والروايات التي دبّجتها أنامل الكاتبة المبدعة كلاويز صالح فتاح. ولا يفوتني في خاتمة المطاف أن أنوّه بالجهد الكبير الذي بذله الشاعر جلال زنكبادي في ترجمة هذه المجموعة القصصية من الكردية إلى العربية وإضفاء لمساته الأنيقة الواضحة على النص العربي الذي بدا سلساً ومنساباً. وجدير ذكره أنّ زنكابادي قد ترجم كتابين آخرين لكلاويز وهما "أسطورة كلي ناوكردان" و "الخادمة" اللذين سأتوقف عندهما في القريب العاجل.

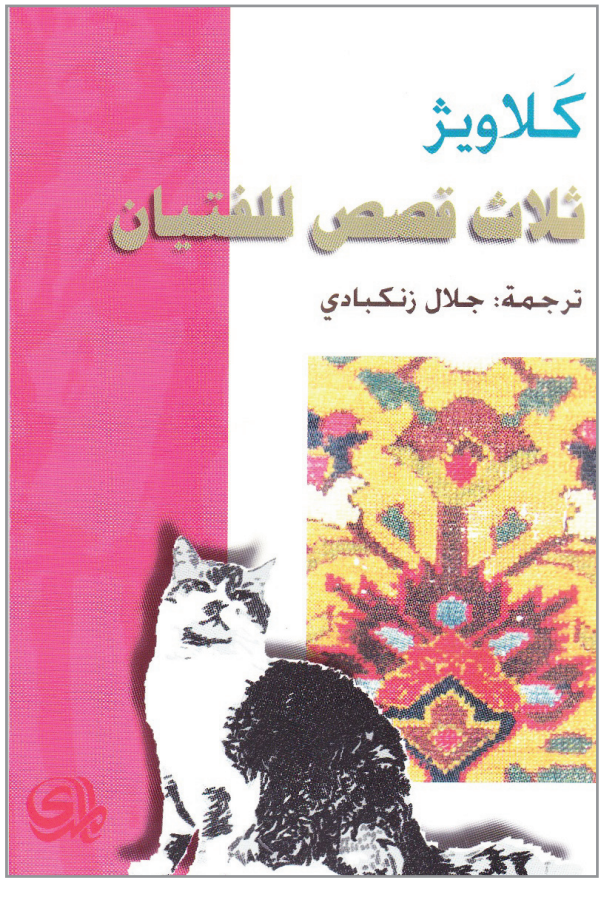

شعر اديب كمال الدين الى الانكليزية

عن منشورات ومطبعة Salamt بولاية جنوب أستراليا صدرت مجموعة شعرية جديدة للشاعر اديب كمال الدين. وهي تحتوي على أربعين قصيدة اختارها الشاعر من مجاميعه الأخيرة وترجمها إلى الإنكليزية، مع مقدمة بعنوان: (ممتع، غريب، مدهش) كتبتها الناقدة الأسترالية د. آن ماري سمث، تصميم الغلاف كان للفنان المبدع سامي محمد

حياة أنجلينا جولي في كتاب كوميكس

ستكون أنجلينا جولي من مشاهير هوليوود التي ستظهر بشخصيتها الحقيقية كبطلة لقصص مصورة (كوميكس) تصدرها دار النشر الأميركية Blue water.

وسبق جولي العديد من المشاهير الذين تحولت حياتهم إلى قصص مصورة فقد سبقها في هذا أوبرا وينفري، سارة بالين وهيلاري كلينتون.

ويرصد الكتاب الصعود والهبوط في حياة أنجلينا المهنية والشخصية مع براد بيت وكذلك دورها كأم وناشطة في العمل الإنساني.

وقال برينت سبريتشر الذي يقوم برسم تلك القصص أنه يحاول إلقاء الضوء على جانب آخر في حياة هؤلاء المشاهير فمثلاً سيرصد كفاح أنجلينا كأم وناشطة. وأن الاستعانة بشخصية شهيرة في القصص المصورة يعد أمراً صعباً لأن هناك العديد من الجوانب غير معروفة عنهم مثل أنجلينا التي تتفانى بكل دور تقوم به وأنه يدعو الشابات الصغيرات أن تكون جولي مصدر إلهام لهن.

ومن المتوقع أن يكون هناك العديد من النجمات اللاتي سيصبحن بطلات لمزيد من قصص الكوميكس مثل بيونسي وبيل أوريلي.

وقال ديفيس زاي مؤسس ورئيس دار النشر إنه بسرد السير الذاتية لمشاهير العالم الأكثر إثارة للاهتمام مثل القادة والفنانين يستطيع بهذا أن يزيد من قارئ الكوميكس في العالم والذين يكونوا في العادة من معجبي هؤلاء المشاهير.

كتاب جديد يحكي سيرة الممثلة الفرنسية الغامضة بريجيت باردو

صدر كتاب جديد يحكي سيرة الممثلة الفرنسية الغامضة بريجيت باردو التي وجدت نفسها نجمة وعرفت بتحررها المفرط وتخلت عن مسيرتها الفنية من أجل الدفاع عن الحيوانات.

كتاب جديد يحكي سيرة الممثلة الفرنسية الغامضة بريجيت باردو

وفي صفحات كتاب "بريجيت باردو، بلين لا فو"، تحكي الكاتبة ماري-دومينيك ليلييفر قصة حياة أيقونة وطنية، مبدية إعجابها "باندفاعها وشجاعتها وروح المجازفة التي تتمتع بها".

وتقر ليليافر التي يستهويها رواد الثقافة الفرنسية الشعبية قائلة "من بين كل الشخصيات التي كتبت عنها، باردو هي الأكثر تعقيدا... هي أكثر تعقيدا من (المغني سيرج) غينسبورغ ومن (مصمم الأزياء إيف) سان لوران".

كتاب جديد يحكي سيرة الممثلة الفرنسية الغامضة بريجيت باردو

تضيف "اخترت ألا أقابل بريجيت باردو لأنها كانت ستطلب إعادة قراءة النص. فتحريت عن حياتها من خلال بعض معارفها المهنية وأصدقاء لها".

وتعتبر الكاتبة التي تطرقت في عملها إلى حياة باردو العاطفية ولا سيما أزواجها الأربعة المتعاقبين (روجيه فاديم وجاك شارييه وغونتر ساش وزوجها الحالي برنار دورمال) أن بريجيت باردو "إنسانة صنعتها رغبة الآخرين". وتصور الكاتبة باردو التي كانت رمزا للجنس في الستينات على أنها في الدرجة الأولى امرأة حرة "تدعو إلى رفض القيود وتتحدث باسم جيل بكامله".

وبالنسبة إلى ماري-دومينيك ليليافر، وقعت باردو في فخ الشهرة باكرا جدا، "ما جعلها أسيرة الفراغ الناجم عن انعكاس صورتها".

تضيف الكاتبة أن باردو تقول وتفعل ما تشاء من دون مراعاة أي كان باستثناء شخصها"، مشيرة إلى أنها اليوم منطوية على نفسها وتعيش في زمن آخر. وتتابع أن باردو "تمكنت من الخروج من براثن مسيرتها الفنية النهمة بأفضل ما يمكن.

وحقد النوع البشري هو ترياق بالنسبة إليها.

وهي تتمتع بسيئات الفرنسيين وحسناتهم كلها. وهي بشجاعتها المعهودة تدافع عن الحيوانات متحدية العادات والقوانين".

وتشير الكاتبة إلى أن بريجيت باردو تدفع ضريبة على ثروتها وتدير ممتلكاتها بحكمة، ما يؤمن لها حياة هانئة مع أنها وهبت غالبية ممتلكاتها إلى مؤسستها المعنية بحماية الحيوانات.

وبالكاد تتطرق الكاتبة إلى الاتهامات التي وجهت إلى الممثلة السابقة بسبب تحريضها على الحقد العنصري ووصمها المجتمع المسلم واستنكارها لما يقوم به في ما يتعلق بالتضحية بالخراف خلال عيد الأضحى.

وتشير الكاتبة إلى أن "تركيزها على الأهداف الجريئة مع تقدمها في السن يبرهن استقلاليتها، ومواجهتها الشيخوخة في زمن الهروب من الشيخوخة هي دليل شجاعة". وتختم بالقول "باردو ملكة. يمكن تجاهلها لكن لا يمكن الإطاحة بها".

غريبُ النهـــر

روايـــة جـديـدة لـجـمـال نـاجي

عرض / أوراق

عن الـدار العربية للعلـوم ناشرون صـدرت في بيروت الرواية الجديدة لجمال ناجي بعنوان (غريب النهر).
تقـع الروايـة في ٢١٦ صفحـة، وتـدور أحداثها في كل مـن فلسطين والأردن، وتمتد إلى تركيا ولبنان وسوريا وعـدد من بلدان آسيا وإفريقيا، وتتناول فانتازيا النفير الفلسطينـي منذ الحـرب العالميـة الأولى وحتى نهايات القرن العشرين عبر سلسلة من الأحداث التي تقوم على استجواب التاريخ وخوض السباقات في مساحاته.
ويستخـدم الروائي في عمله الجديد تقنية زمنية تحطم التراتـب التقليدي للزمـن لتستنبط منه زمنـا جديدا ذا إيقـاع تناقلي يفضي إلى مفارقات تبـدو غريبة للوهلة، لكنهـا في الروايـة تتحول إلى حقائـق يصعب التشكيك في إمكانية حدوثها.
هي رواية "فانتازيا" النفير الفلسطيني، لكن هـذا النفير يظهـر في الرواية برؤية جديـدة تمـزج بـين مفارقـات الشتـات واستحقاقـات البقـاء، وبـين غرائـب التحـولات الإنسانيـة وأبعادها النفسية والاجتماعيـة والسياسيـة، بمـا في ذلك نجاحات الشخوص وإخفاقاتها وقوتها وضعفها أمام المنعطفات الحادة.
أبطـال الروايـة هـم أفـراد مـن عائلـة افتراضيـة واحـدة يعـود أصلهـا إلى قريـة فلسطينيـة، يعايشـون مراحـل ضيـاع الوطـن ومنعطفـات السياسـة وشتـات العائلـة الواحـدة في أصقاع الأرض، وهـي العائلـة التـي تتعـدد جنسيات أفرادها وتتشعب ولاءاتهم، ويعايشـون عصرهـم ويحاكمونـه بطـرق متعـددة، وفي أماكـن تـترك بصماتهـا علـى ألوانهـم وأساليـب تفكيرهم وسلوكهم.

مقتطف من الرواية:

(قبـل أن يبـادر إلى توجيـه أسئلته الاستقصائيـة المعروفـة التي يفكر المضيـف بها في مثل تلـك المواقف، كالسؤال عمن يكـون الضيف، وما الـذي يريـده، وهل هـو مرسل من أحـد أقاربه أو معارفـه إليه، وغير ذلـك مـن الأسئلـة التي قـد تخطر بـبالـه، سبقـه الستينـي شوكـت بسـؤال غريـب عن الوقـت الذي يناسبه مـن أجـل اصطحابه إلى مقـام أمـين الأمـة، أبـو عبيـدة عامـر بـن الجـراح، الـذي يبعـد عن البيارة مسافـة ثلاثين دقيقة بالسيـارة، مـن أجل زيـارة قبر المرحومـة عائشة، وقـبر شهيد العائلة.

ولقد أثار ذلك الطلب في نفسه بعض التشاؤم، فقد تذكر بـأن أشهر الموت في العائلـة تنتهي في اليوم الأخير من شهر آذار، بعد ثلاثة وأربعين يوماً من لحظته تلك، ومن المحتمل أن تحل منيته قبل انتهاء تلك الأيام، وهو اعتقاد ترسخ على مر السنين والعقود بين أفراد عائلة أبو حلة، وتعزز بعد أن قضـى كل أمواتهم الذين يذكرونهم خلال أشهر المـوت، وهي كانون الثاني وشبـاط وآذار من كل عام من أعوام المـوت، حتى إن أجدادهم كانوا يحتفلون في الأول مـن نيسان من كل عام بنجاتهم من تلك الأشهر الثلاثـة، ويذبحون الذبائـح ويوزعونها علـى الفقراء، ويحرقـون البخور، ويسهـرون في عليّات بيوتهم حتى الصبـاح، وقبل أن ينامـوا يلقـون بجِرار الفخار الفارغة مـن علّياتهم كي تنكسر في باحـات بيُوتهم، معتقدين أن كسر الجرار يزيل آثار تلك الأشهر وتوجساتها.)

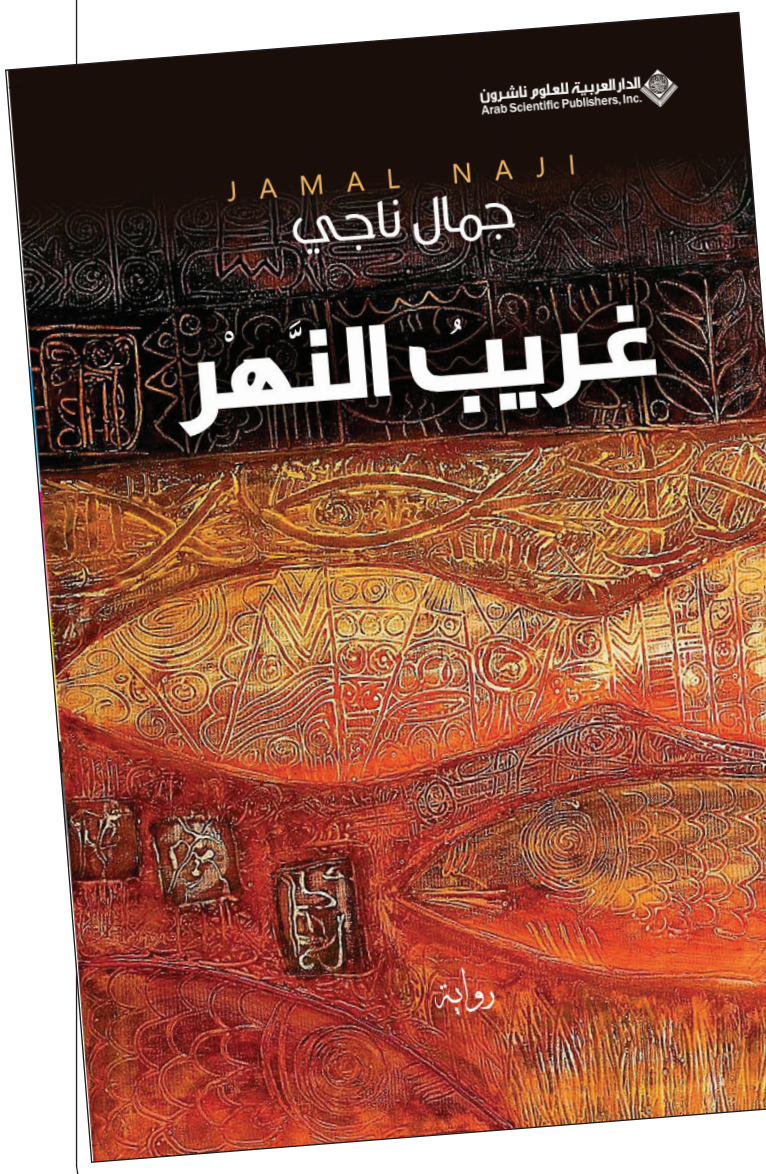

آفاق

■ سعد محمد رحيم

مخيـم المواركـة

-١-

ومثلما يفعل علي عباس خفيف في روايته (سـتة أيام لاختراع قريـة) يلجأ جابر خليفة جابر في روايتـه (مخيّم المواركة/ دار فضـاءات.. عمّان/ ٢٠١٢) إلى بناء تشـكيل سردي يعتمد تعدد الـرواة، وما يتبعـه من تبايـن في وجهات النظـر، وتداخل في أنسـاق السـرد.. وأيضـاً، مثلمـا في روايـة علي عباس، تأتي مخطوطـة الرواية جاهـزة إلى الراوي الأول الـذي هو المؤلف نفسـه، باسمـه الصريح، كمـا سيعلمنا في الصفحـة الأولى من السرد الروائي. لذا سيتعاطى معه القارئ، ها هنا، شخصيةً في الروايـة، إلى جانـب الشخصيات الأخرى المتخيّلـة. وإذا كانت مخطوطة الرواية الأصلية في رواية (ستة أيام..) ستصل باليد وهي ملفوفة بأكياس نايلون سود موحلة ومتآكلة وممحوّة في أجـزاء منها، فإنهـا في رواية (مخيّم المواركـة) ستصل للراوي الأول نقية، واضحة، عبر الفضاء الافتراضي لشبكة الإنترنت.
يعلمنـا الراوي الأول أن الرواية هذه أرسلت كاملة إلى بريده الإلكـتروني من قبل شخص يدعى عمار أشبيليو، وقد نقلها عن راوٍ آخـر من أسلافـه اسمه عمّار اشبيليو كذلـك عاش قبل أكثر منْ أربعـة قرون، والأخير ليس هو المؤلـف الحقيقي للرواية.. نقرأ:
"ولأن عمّار اشبيليو الأول لم يذكر لنا بالتحديد من هو مؤلف الروايـة المسمـى بـ حامـد الأندلسي، هـل هو شقيقـه حامد بن قمريـن، أم هـو حامد بن كنـاري أخته؟. وغير هـذا لا أحد يعلم كيـف اجتازت الرواية مئـات السنين لتصل إلى عمـار أشبيليو الأخـير؟. لهـذه الأسبـاب مجتمعة، ولكـي لا يضيـع القارئ في متاهة البحث عن المؤلف، قررت أن أدعي تأليف الرواية، وأضع اسمي على غلافها.. جابر خليفة جابر".
حرصـت على اقتباس هذا المقطع الطويـل نسبياً من الصفحة الاستهلالية للرواية لما يخلقه من أفق توقع في ذهن القارئ يعينه في مـا بعد على إضاءة العناصر الأساسية وشبكة العلاقات بين الرواة والمروي لهم داخـل نسيج النص الذي بين أيدينا. فضلاً عمّـا يولّده من تسـاؤلات واعتراضات تخص تـوازن التشكيل السردي ومنطقه.
مـا سيحصـل لاحقاً هو أننـا لن نقع قط علـى مخطوطة حامد الأندلسـي، وإنمـا على رواية تُسـرد، شيئاً فشيئـاً، وتنمو، من قبـل رواة جماعيين في مخيـم أقيم أول أيـام ٢٠٠٩ وتنقّل بين مناطـق متفرقة مـن الأندلس، حيث يـبرز دور المخيّلـة، ومعها الافتراضـات القائمـة علـى الرجوع إلى مخطوطـات ومرويات قديمـة، ناهيـك عن تحيـزات الـرواة أنفسهم، في بنـاء الرواية المنقولـة بتفاصيلهـا كلهـا مـن قبـل عمـار اشبيليـو الأخـير، وبوسـاطـة البريد الإلكتروني إلى الراوي الأول/ المؤلف. وإذن أيـن هو موقع مخطوطة الأندلسي داخـل الرواية، حيث لن ترد سوى نتف منها؟. فهناك، في سبيل المثال، الفصل المعنون ببنات الأندلـس إذ يتحدث حامد الأندلسي عن منافسة بين رسامَين في قاهـرة المعز لدين الله الفاطمي، وأمـام وزير السلطنة، أحدهما مصـري اسمه بن عزيز والثاني عراقـي، اسمه قاسم، هارب من بطـش صاحب الشرطة في بغداد، وهو فصل مثير لكننا لا نكاد نميّـز بين الأسلوب الذي كتب به، والمفردات اللغوية المستخدمة في إنشائـه (يُفترض أنـه دُوِّن قبل أربعة قـرون) وبين أسلوب ولغة الرواة المعاصرين.
كان الأجـدر بالمؤلـف أن يذكـر أن مخطوطـة حامـد الأندلسي عُـدّت المصدر الأساس الذي ألهمَ الـرواة المعاصرين ممن كتبوا مخطوطـة الروايـة التي وصلـت أخـيراً إليه بوصفـه الراوي الأول. وبـذا لن يبقى من مبرر لذكـر الجمل الأخيرة من صفحة الاستهـلال المعنـون بـ (اعـتراف): "لهـذه الأسبـاب مجتمعة، ولكـي لا يضيـع القـارئ في متاهة البحث عـن المؤلف، قررت أن أدعـي تأليـف الرواية، وأضـع اسمي على غلافهـا.. جابر خليفة جابـر". وكان الراوي الأول قد أعلن في تلك الصفحة (ومنطقياً يجب أن تكتب بعد أن تكون الرواية جاهزة، ويكون قد وقع على المعلومـات الواردة فيها كلها) مـن أنه لم يعرف أي الـ (حامدين) قـد كتـب الرواية. غـير أننا نحن القـراء نعثر علـى الإجابة في الصفحتـين ١١٢، ١١٣ من الرواية، وبشهادة يحيى المجريطي: "كلاهما اسمه حامد... إنهما معاً يحملان لقب حامد الأندلسي وهمـا قريبـان على ما يبـدو، إذ باشـر الثاني إكمـال مخطوطة الأول التي تركها ناقصة، وكان يسمّيه بخالي..".

يتبع

إصدارات دار المدى للثقافة والنشر

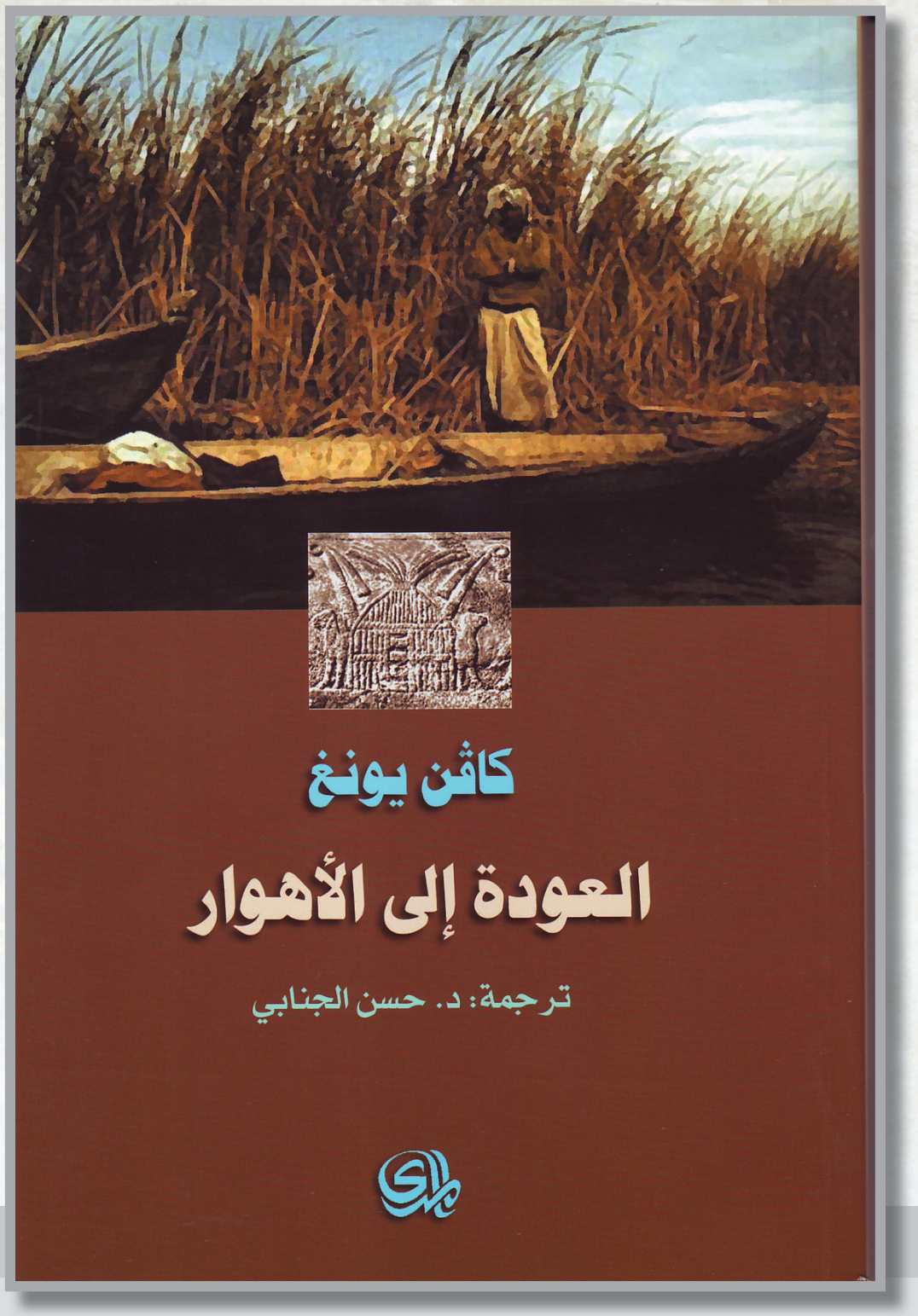

أمضيت زمناً طويلا في الأهوار في الخمسينيات، ثم بعد غياب دام عشرين عاماً تقريباً، ومنذ عام (١٩٧٣) رجعت الى هناك مرات عديدة متنقلاً، كما كنت من قبل، بالزوارق ومقيماً مع سكان الاهوار بالضبط كما يعيشون. لذا فالكتاب هو كتاب شخصي بالدرجة الاولى واعتبره نوعاً من التخليد لاصدقائي عرب الاهوار. أنا لست عالماً متخصصاً أو مؤرخا أو أنتروبولوجياً او مختصاً بعلم الطيور أو أي علم آخر، ولكن توجد هنا فصول في التاريخ تتجاوز معركة البريطانيين والأتراك وظهور الإسلام وغزوات اليونانيين والفرس والمنغول والميديين والآشوريين وغيرهم، إلى الأزمنة السومرية العريقة، بل حتى بداية الخليقة.

وكتابي هذا محاولة لوصف ما حدث في السنوات الأخيرة: كيف أثّرت التغيرات في العراق على عرب الأهوار، الذين يقطنون أجمل المناطق، على الصعيدين الجماعي وفي غالب الأحيان الفردي.

تطلب من مكتبة المدى وفروعها: بغداد - شارع السعدون - قرب نفق التحرير .. بغداد - شارع المتنبي - فوق مقهى الشابندر .. اربيل - شارع برايه تي - قرب كوك

تحرير| علاء المفرجي الاخراج الفني| ديار خالد التصحيح اللغوي| مصطفى محمد حامد

طبعت بمطابع مؤسسة المدى للاعلام والثقافة والفنون